صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل اسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
مصر
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثاني (القاهرة في يوم الاربعاء ٦ شوال سنة ١٣٥١ — أول فبراير سنة ١٩٣٣) السنة الأولى

رسالة الشباب

عن يسارك وأنت خارج من ميدان الأزبكية الى عابدين باب عتيق ضخم، لا تجد بينه وبين جيرته انسجاما في طراز، ولا التئاما في ذوق، تدخله فكأنما تدخل داراً من دور الترك، أو ديرا من دور الروم: دهليز قاتم رحب، وفناء كالح رطب، ودرج رخامي يصعد بك طبقتين الى جمعية القرش!

في هذا الربع الوحش يعمل الشباب النضر! ومن هذا الطابق الرهيب ينبثق الروح الذي يهز القلوب، ويشغل الاذهان، ويملأ الصحف، ويحرك الايدي ويرصد الأحبة لافتتاح (معمل الطرابيش) عما قليل!

تدخل فتجد مقترح المشروع وكاتب سره وهو شاب أنيق لا تزال على محياه الأبلج قسمات البراعة! يجلس في غرفة عارية من الأثاث، على مكتب مغطى بأشتات الورق ومن حوله رفاقه الأبرار يجيبون دعاته، أو يناقشون آراءه، أو يطلبون امضاءه، والعواطف المشبوبة النبيلة تجيش في هذه القلوب الفتية فتنسيها في النهار الراحة وفي الليل النوم! جاست عنيه في هذه الغرفة الجرداء الوسيعة، أرى الاخلاص يتمثل في الخيال، والأمل يتدفق في الحديث، والشباب المرح اللاهي يحول الى كد دائب وصبر غالب ووفار مرهوب، ثم اسمع أخبار اللجان ومعدات المهرجان وحركة المطبوعات وجمع التبرعات واصدار الطوابع الى مختلف الجهات، فقلت في نفسي: يا لله!

أقيادة جيش تقرر الخطط وتحفظ السلام وتعز الوطن، أم خلية نحل تدير الأمر وتجمع الرحيق وتصنع العسل؟!

***

لقد كان الشباب في نهضتنا السياسية الروح الذي أحيا الشعور، والضوء الذي هدى الجمهور والدعوة التي دار عليها الرأي!

وهاهم أولاء في نهضتنا الاقتصادية يرقون رفيف الاملاك حول بنك مصر وشركاته؛ ويضيفون الى هذا البناء الرفيع الحكم شرفات تزيده جمالا وروعة! يريدون — والشباب قادر اذا أراد — أن يتجمع من القرش الواحد رءوس أموال لمصانع شعبية. كما يتجمع البحر من قطرات المطر، والجبل من ذرات الرمل!!

يشترك في تحرير المجلة:
الدكتور طه حسين
واعضاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر

فمن ذا الذي لا يساهم في هذا المشروع الخطير بهذا القرش الحقير وفي كل لحظة تلتقط اليد أمثاله في توافه الأشياء وضئال الامور!

ان نشأنا ليؤدون رسالة الشباب كما تؤدي الزهور رسالة الفردوس.

ولقد رأيت اخوانهم في فلسطين والشام والعراق يفتعشون بهذا المعبر، ويسيرون على هدى هذا الشعاع.

فافسحوا في المجال لعزم الصبي ينهض برأي الكهولة!

فان الوطن لا ينهض الا بشبانه، وان الشجر لا يثمر الا بأغصانه،

أما الشيوخ فكالجذوع، هم الاصل والمدد والسند، ولكنهم ألصق بالارض وأميل الى السكون وأقرب الى الجمود، فلا تقوى على تحريكهم رياح الامل، ولا تنهد على حطبهم طيور السماء!

احمد حسن الزيات

خواطر وصور

خواطر

« قروش » فكرية

مهداة الى « القروش » النقدية !

لعوستاز عباس محمود العقاد

الشعور السعيد

أسعد الشعور ما امتزج فيه شعور الانسان بنفسه وشعوره بغيره ، أو ما كان فيه الشعور بالغير ضربا من الشعور بالنفس . ومن هذا القبيل شعور الأب بابنه والحبيب بحبيبه والمشهور بشهرته : يرى نفسه في غيره ويرى غيره في نفسه ، فيلتقي فيه الرضى عن النفس والرضى عن الدنيا . وهما تمام الرضى الذي يحيل الألم والشقاء سروراً وسعادة

***

كراهة الأخيار

قد يكون الشرير الذي يشتد بغضه لأهل الخير من أقرب الاشرار الى الاخيار . لانه يحس بما نقد وعس بما امتاز به غيره فيحسدهم . والحسد اعجاب معكوس ، أما الشرير الذي لا يبغض أهل الخير فادراكه للخير قليل ، وطلبه للامتياز والرجحان ضعيف

***

حرية الفكر

فرق بين من يجترئ على العقائد الراسخة لقوة في نفسه ، وبين من يرتاب فيها لتحلل في طبيعته يعجزه أن يمسك العقيدة القوية ويحتويها

***

اماتة الجاهل

الساعة المطلقة تكون أضبط الساعات جميعا في لحظة من اللحظات ، وكذلك العقل الصغير الخاطيء يصيب مرة حيث لا تصيب كبار العقول

***

أنانية الشيوخ

دين النفعة يطلب على الشيخوخة لانها عهد الضعف والادبار ، لا لأنها عهد الخبرة والمعرفة

***

الاذلاء

حاجة الناس الى العظيم حاجتهم الى ارضاء غرورهم لا الى ارضاء غرور العظيم

الشعر والشيخوخة

اذا قال الشيخ لا حاجة بي الى الشعر فلا تُرث للشعر بل ارث له هو لانه ينعى نفسه

واذا قالت الأمة لا حاجة بي الى الشعر فصدقها ، واعلم أنها قد شاخت ، فلا حاجة بها الى الشعر ، ولا الى غيره من علامات القوة والحياة

***

الخوف وحب الحياة

الخوف المفرط من الموت علامة الجهل بقيمة الحياة لا علامة المعرفة بتلك القيمة ، لان الذي يؤثر كل حياة على كل موت يفضل الحياة على أي شكل من الأشكال ، ويقبلها على أبشع الاشكال ، والذي يقبلها على أبشعها لا يعرف لها قيمة قط

***

الزهد والتفة

الزاهد الذي يروض نفسه على الزهد يتقبح الدنيا ليس بزاهد ، لانه لا يترك الا شيئا قبيحا حين يترك دنياه ، ولا شرف منه نفسا ذلك الذي يتم بالدنيا لانها عنده نفاسة وجمال

***

تفاؤل القوة والضعف

يتفاءل المرء ثقة منه بالقدرة على مقابلة الخطوب ، أو قلة مبالاة بعواقب المزيمة ، وهذا تفاؤل القوة

ويتفاءل المرء خداعا لنفسه كي لا يجشمها التأهب لملاقاة الخطوب والتفكير في عواقبها ، وهذا تفاؤل الضعف

***

الانتقاد والحرية

ليست كثرة الانتقاد دليلا على الحرية في كل حين

ان الناس يكثرون الانتقاد حين يجهلون الحرية ، لانهم لا يرون للآخرين حقا في التصرف كما يشاءون

***

الكبرياء

الكبرياء اعتداء ، أو رد اعتداء

***

الواقعيون والخياليون

التعويل على المحسوسات دأب جميع الناس ، لكن صاحب النفس الكبيرة يحس مالا يحسه أصحاب النفوس الصغار ، فيعده هؤلاء من الخياليين .. لأن محسوساته غير موجودة عندهم ، فهي ضرب من الخيال .

صديق

للأستاذ احمد أمين
— ١ —
الأستاذ بكلية الآداب

لي صديق ، اصطلحت عليه الاضداد ، والتفت فيه المتناقضات ، سواء في ذلك خلقه وخلقه وعلمه .

حيي خجول ، يغشى المجلس فيتعثر في مشيته ، ويضطرب في حركته ، ويصادف أول مقعد فيرى نفسه فيه ، ويجلس وقد لف الحياء رأسه ، وغض الخجل طرفه ، وتقدم له القهوة فترتعش يده ، وترتجف أعصابه ، وقد يداري ذلك فيتظاهر أن ليس له فيها رغبة ، ولا به اليها حاجة ، وقد يشمل لفافته فيحمله خجله أن يفضها كل حين ، وهي لا تحترق بهذا القدر كل حين ، وقد يهرب من هذا كله فيتحدث الى جليسه ليلهي نفسه وخجله ، ولكن سرعان ماتعاوده الفكرة فيعاود الهرب ، وهكذا دواليك حتى يحين موعد الانصراف ، فيخرج كما دخل ، ويتنفس الصعداء حامدا الله على أنه لم يخر صعقا ، ولم يدركه حينه كربا وقلقا .

من أجل هذا أكره شيء عنده أن يشترك في عزاء أو هناء . ولو يدعى الى وليمة أو يدعو اليها ، يشعر أنه عبء ثقيل على الناس وأنهم عبء عليه ، يحب العزلة لا كرها للناس ولكن ستراً لنفسه ، وأنساً بالوحدة وهي تضايقه وتريبه .

ثم هو — مع هذا — جريء الى الوقاحة ، يخطب فلا يهاب ، ويتكلم في مسألة علمية فلا ينضب ماؤه ، ولا يدنى جبينه ، ويعرض عليه الأمر في جمع حافل فيدلي برأيه في غير هيبة ولا وجل ، وقد تبلغ به الجرأة أن يجرح حسهم ، ويدمي شعورهم فلا يأبه لذلك ، ويرسل نفسه على سجيتها فلا يتحفظ ولا يتحرز .

يحكم من يراه في حالته الأولى أنه أحيا من عذراء ، ومن يراه في الثانية أنه أوقح من ذئب وأسلب من صخر ، ومن يراه فيهما أنه شجاع القلب ، جبان الوجه .

* * *

وهو طموح تنوع ، نابه خامل ، يرمي بهمته الى أبعد مرمى ، وينزع نفسه الى أسنى المراتب ، وتحفزه الى أبعد المدارك ، فيوفر على ذلك همه ، ويجمع له نفسه ، ويتحمل فيه أشق العناء ، وأكبر البلاء ، ولا يسأم ولا يضجر . وكلما نال منزلة علما ، وطلب اسمى منها . ويباهو في جده وكده ، وحزمه وعزمه أذعان به طائف من التصوف ، فاحتقر الدنيا وشؤونها ، والنعيم والؤس والشقاء والهناء وسمع قول المتنبي :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة ... فما المجد الا السيف والطعنة النجلا
وتركك في الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

فهزيء به وسخر منه ، واستوطأ مهاد الخمول ورضي من زمانه بما قسم له ، وبينا يأمل أن يكون أشهر من قمر ، ومن نار على علم ، يسافر في الشرق والغرب ذكره ، ويطوى الراحل اسمه أنفا به يخجل يوم ينشر اسمه في صحيفة ، ويذوب حين يشار اليه في محفل ويردد مع الصوفية قولهم « دفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه » يعجب من يراه مجدا خاملا ، ومعرفة نكرة ، وعاملا مغمورا .

وأغرب مافيه أنه متكبر يتجاوز قدره ، ويعدو طوره . ومتواضع ينخفض جناحه ، وتتضاءل نفسه . يتكبر حيث يصغر الكبراء . ويتصاغر حيث يكبر الصغراء . يتأله على العظماء حتى تظن أنه نسل الأكاسرة ووارث الجبابرة ويجالس الفقير المسكين يؤاكله ويستذله ، هو تيه أمام الأغنياء ، وبشاشة لدى الفقراء لاتلين قناته لكبير ، ويحزم أنفه الصغير .

يحب الناس جملة ، ويكرههم جملة . يدعوه الحب أن يندمج فيهم ، ويدعوه الكره أن ينفر منهم فحار في أمره ، فامتزج الحب بالكره ، فاستوان بهم في غير احتقار .

صحيح الجسم مريضه . ليس فيه موضع ضعف ولكن كذلك ليس فيه موضع قوة . يشكو المرض فيحار في شأنه الطبيب فيحنق على الاطباء ويرميهم ، بالعجز وما العاجز الا جسمه لم يستطع أن ينوء بنفسه .

كذلك كان رأسه . مضطرب . مرتبك . كأنه مخزن مهوش ، أو دكان مبعثر وضع فيه النعل القديم بجانب الحجر الكريم ، يؤمن بقول الفقهاء : القديم على قدمه ، ثم يدعو الى التجديد . ويخلق فيه مذهب أهل السنة بمذهب أهل النشوء والارتقاء ، ومذهب الاختيار بمذهب الجبر ، وحب الغني بمذهب أبي ذر وتجتمع في مكتبته كتب خطية قديمة قد أكلتها الارضة ، ونسج الزمان عليها خيوطه ، وأحدث الكتب الأوروبية فكرا وطبعا وتجليدا . ولكل من هذين ظل في عقله ، وأثر في رأسه . يسره تأبط شرا في بداوته وسلكته « وجوته » في حضارته وامارته ويؤمن لشاعرية هذا وذاك . يسمع الى الملحدين فيصغي اليهم . والى المؤمنين فيحن شوقا لذكراهم يهمل في صلاته ويحافظ على صومه . ان ألحد فكره لم تطاوعه طبيعته ، وان كفر عقله آمن قلبه . ومن أصدقائه الكبير والزاهد ، والفاجر الداعر والعابد . وكلهم على اختلاف مذاهبهم يصفه بأنه يجيد الاصغاء كما يجيد البليغ الكلام

* * *

سرت معه سيرة من جنسه ، فأحببته وكرهته ، ونفرت منه ورحته ، وكنت آنس به وأستوحش منه ، يبعد عني فأتوق اليه ، ويطول بقائي معه فأتبرم به .

وأخيرا ، لم يقو جسمه على هذه الأضداد مؤتلفة ، والمتناقضات مجتمعة . فعاجله الشيب في شبابه ، ونكس ظهره في ربيع عمره ،

مشروع الفرش

دلالته على مبدأ التضامن القومي

للدكتور محمد حسين هيكل بك

أذاعت جماعة مشروع الفرش في العام الماضي أكثر من نشرة كتب فيها كبار الكتاب وذوي الرأي حتى لقد أصبح الانسان يشعر حين يفكر في كتابة شيء جديد للمشروع وأصحابه بشيء من المشقة غير قليل . ذلك شأني على الأقل لأنني لا أريد أن أتناول موضوعا الا أن يكون له مساس أو اتصال بالفرش ومشروعه . وقد طلبت الي جماعة الفرش منذ اعتزمت اصدار هذا العدد من «الرسالة» أن أكتب ففكرت وفكرت وفكرت حتى انتهيت أخيرا الى ما أكتب اليوم عن دلالة هذا المشروع من ناحية الاتجاه الاقتصادي وتأييده لمبدأ التضامن الاقتصادي Solidarité على غيره من المبادىء وتأييده لهذا المبدأ في حدود الاقتصاد القومي اكثر من تأييده اياه في المدى الواسع الذي يعتبر العالم كله وحدة اقتصادية يجب أن تسمها روح التضامن من غير تقيد بالتفكير القومي ومن غير خضوع للمبادىء الاشتراكية المتطرفة .

أنا لا أظن أن الذين بدأوا التفكير في مشروع الفرش بدأوه متأثرين بهذا المبدأ الاقتصادي أو ذاك . بل أغلب الظن أنهم بدأوه متأثرين بخضوع مصر الاقتصادي لغيرها من الأمم خضوعا تستطيع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وأصبح مترهل العضل ، منمرق القوى ، يظنه من رآه أنه بلغ أرذل العمر ، ولداته في روعة الشباب وميعة النشاط .

يلفني مرضه ، فلم أدركه الا جنازة فشيعته الى أن أنزل حفرته وأجن في رمسه وغضضت من ترابه الأيدي !

وعدت موجع القلب باكيا ، ضيق الصدر ، مكروب النفس ، أخذني من الحزن عليه ماتنقض منه الجوانح ، وتشق له المرائر ، فطفت أن حبي له كان أعمق من كرهي اياه ، وأن تقمق عليه لم تكن الا مظهراً من عطفي عليه ، وأن كنت أقسو عليه رحمة به !

رحمة الله عليه فقد حطم بعضه بعضا ، ومضى قتيل روحه شهيد نفسه !

بشيء من الثائرة أن تتخلص من نيره . وادن فهي فكرة الاستقلال الاقتصادي تدفع اليها عاطفة وطنية كالعاطفة التي دفعت الى النهضة في سبيل الاقتصاد السياسي هي التي حركت في نفوس السابقين الى فكرة مشروع الفرش الدعوة الى مشروعهم وابرازه من حيز الفكرة الى حيز العمل . لكن ذلك لا يغير شيئا من دلالة المشروع على نحو ما قدمنا بل هو يزيده تأييداً . فلو أن فكرة الاستقلال الاقتصادي وحدها هي التي كانت الدافع والمحرك ولم تخالطها فكرة التضامن القومي لرأينا الدعوة الى هذا الاستقلال تلبس ثوبا آخر وتظهر في صورة أخرى . ومن قبل دعا الداعون الى تأليف شركة لانشاء بنك مصر عنيقا لفكرة الاستقلال الاقتصادي وبحثت الدعوة بجاحها الباهر ومن قبل فكر بنك مصر وألف الشركات المختلفة التي يساهم فيها ويشرف عليها وكان لها من التوفيق الحظ الاكبر . وفي هذه الظروف جميعا كانت فكرة الاستقلال الاقتصادي هي الحافز الأول ، وكانت العاطفة الوطنية التي تطمح الى هذا الاستقلال طموحا صادقا هي اكبر عون على الاكتتاب ثم على النجاح .

وكان ممكنا انشاء مصنع للطرابيش على الطريقة التي أنشئت بها شركة غزل ونسج القطن ، وشركة مصايد الاسماك ، وكان ممكناً انشاء مصنع للاصواف بالطريقة ذاتها . لكن مشروع الفرش تأثر بالفكرة التي قدمنا فوجهته في سبيل الاستقلال الاقتصادي وجهة جديدة ! وجهة تضامن عام في حدود الاقتصاد القومي لا يطمعها الطابع الفردي الذي يطبع الشركات المختلفة التي تصبو أولا وبالذات الى الربح ، بل يطبعها طابع الايثار من جامعي القرش ومؤلفيه ومنظمي استثمار الايثار الذي يجعل المرء يحب لغيره مايحب لنفسه ويعمل لخير غيره بمقدار مايعمل لخير نفسه . وان كان ايثارا محدودا بالحدود القومية . ولهذا الايثار القومي عذره وفضله . له عذره لأنه رد فعل طبيعي لثائرة الغرب وحرصه في أن يستأثر بخيرات العالم كله واوزانه تاركا للشرق ما يكفي لاقامة حياته كي يجد ويشتغل أجيرا لحساب الغرب الذي يؤيد أثرته هذه بالدفع والقواصة والطيارة وله فضله في أنه انهاض قومي لمصر كي تشعر بما تقدر عليه من غير كبير مشقة أو تضحية . وانهاض يقوم به شبابها فتيات وشبانا لخير الوطن غير ناظرين جزاء الا أنهم أدوا للوطن خدمة شعروا بأن أداءها واجب عليهم .

والشعور بالتضامن الاقتصادي على الوجه الذي يلقن شباب القرش على الناس درسه مقدمة لحيوية قوية تربط الامة بروابط التضامن

الأكيدة فيما سوى الميدان الاقتصادي من مرافق حياتها . فالرجل الذي يدفع القرش ويلبس طربوشاً مصرياً بثمن معتدل يشعر بانه يؤدي خدمة وطنية تعود عليه هو في الوقت نفسه بفائدة كريمة . وهذه احدى فضائل التضامن في كل شيء . وهذا الشعور يجعل كل مصري يقدر أن كل خدمة يؤديها الانسان لوطنه وكل قرش يدفعه له يعود عليه وعلى أمثاله بفائدة مضاعفة لما دفع . فكما أن قرشك الذي دفعته في العام الماضي سيجعلك تلبس الطربوش تدفع ثمنه خمسة عشر قرشا بدلا من خمسين كذلك يجب أن تسأل عن كل قرش تدفعه عادا يعود عليك أو على الوطن من نفعه ؟ فاذا لم يعد بمثل هذه الفائدة المضاعفة فما لم أن الذين ائتمنوا عليه يبتالونه وأنهم لذلك غير أمناء ، وأنهم لا يقدرون معنى التضامن القومي وواجبهم ازاءه بل يقدرون فائدتهم الشخصية ناسين فائدة مواطنيهم ، ناسين بذلك فائدة الوطن ، مضحين بمصالحه في سبيل منافعهم الذاتية ، وفي سبيل وصولهم السريع الى الثروة على حساب غيرهم .

اذا صدقت رسالة مشروع القرش التي نلمسها وكانت بشيراً بتقدير المصريين لمبدأ التضامن ولوفق الحدود القومية فقد آن للمصريين أن يستبشروا حقا بمستقبل قريب تتطور فيه النظرة الى الحياة من مختلف نواحيها تطوراً محسوساً . فنظرية التضامن لا تقف عند الميدان الاقتصادي سبيل تمتد به الى ميادين النشاط جميعا ، وفي مقدمتها ميدان الانتاج الفكري والفني . ونظرية التضامن لا يحدها زمن ، بل هي تقوم على أساس أن الثروة المادية والثروة المعنوية لأمة من الامم هما جميعا ثمرة مجهود الاجيال المتعاقبة ، وأن لاهل القبور فيها نصيباً أكثرها لاهل الدور ، وأننا جميعا وحدة متماسكة في السعي والعمل بدأت من أول الزمن ان كان للزمن أول وتستمر على الزمن ما بقي الزمن . فاذا وقر الشعور بهذا الرأي في النفوس كان من آثاره أن يحس كل بانه مدين للمجموع اكثر مما هو دائن له ، وان تضامنه مع المجموع في المجهود العائد على المجموع وعليه بالفائدة من خضوعه لسلطان الانانية الغرور . وهنالك يشعر حقا بان واجباً عليه أن يبني لا أن يهدم ، وأن يكون منتجا اكثر منه مستهلكا ؟ وأن يعمل لخير غيره عمله لخير نفسه . وهنالك تزول البغضاء من النفوس فتحل محلها المحبة وتلاشى فكرة التنافس لتقوم مقامها فكرة التعاون ويقضى في النفوس على شهوات الحقد والغيرة والغرور الكاذب لتقوم مقامها فضائل العطف والحنو والتواضع الجميل . وأنت قدير متى صورت هذا التطور كله لنفسك أن تصور الشجاعة الجديدة التي تثمر وادينا الخصب الجميل وأن تقدر سعة الخطوات التي تخطو في سبيل الحق والخير والسعادة .

لعل شبان القرش وفتياته يوافقوني على أن هذه النوازع النفسية الجميلة تجول بخواطرهم مبهمة عند البعض اقل ابهاما عند الآخرين ولعلهم اذا خلوا الى أنفسهم وفكروا في الامر يرون أنهم لم يفتحوا عهد مصنع الطرابيش أو مصنع الصوف وكفى ، وانما هم يفتحون

مجمع اللغة العربية الملكي

بقلم أنور كبير

في مجلة باريس التي ظهرت أول يناير فصل قيم ، دقيق مستفيض عن المجمع العلمي المصري ، الذي أنشأه بونابرت في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ . تقرأه فيعجبك لفظه العذب وأسلوبه المتين ، ودقة صاحبه في البحث وعنايته بالتفصيلات ، وعنايته قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء بتمجيد فرنسا وبونابرت ، وما كان لهما من أثر بعيد في احياء مصر الحديثة ، وتمهيد السبيل أمامها الى الرقي المادي ، والمعنوي جميعاً .

وربما أحسست — وأنت تقرأ هذا المقال — شيئاً من الحزن الخفي يمازج هذا الفخر الظاهر ، الذي يملأ نفس «السيوف . شارل لبرو» كاتب هذا الفصل . لأن هذا الجهد الضئيل الخصب العجز ، الذي أنفقه الفرنسيون أثناء اقامتهم القصيرة بمصر في أواخر القرن الثامن عشر لم يؤت الثمر الذي كان ينتظره بونابرت وأصحابه ، والذي كان الفرنسيون يودون أن يكون شيئاً غير الفخر والذكرى .

ولعلك تعلم أن هذا المجمع العلمي المصري الذي أنشيء في القاهرة منذ قرن وثلث قرن ، على نظام المجمع الفرنسي ، وسعى الى نفس الاغراض العلمية والادبية التي كان يسعى لها هذا المجمع وسعى بعد ذلك الى أغراض عملية كانت تحتاج اليها سياسة الفاتحين وادارتهم . لعلك تعلم أن هذا المجمع لا يزال قائماً الى الآن أعيد تنظيمه سنة ١٨٥٩ وهو الآن يعمل كما كان يعمل آخر القرن الثامن عشر يبحث أعضاؤه عن الرياضة والطبيعة والطب والعلوم الاقتصادية والسياسية والفنون والآداب ، ويبحث الآن كما كان يبحث من قبل عن حلول عملية لبعض

السبيل الى طور جديد يريدون أن يطبعوا به حياة وطنهم . ولعلهم يقدرون عظمة هذا التطور الجديد وعظمة ما يجب على الشباب من مجهود تنهض بعدته أجيال الشباب المتعاقبة لتزيده قوة وانماراً . ثم لعلهم يحسون أن في الحياة قرشا غير القرش المادي الذي أدفعه من جيبي . فيها القرش المعنوي والقرش الروحي الذي يعاون على ذكاء معنى التضامن الروحي في النفوس بمقدار ما يعاون القرش المادي على تحقيق معنى التضامن الوطني في الحياة الاقتصادية . هذا القرش المعنوي ، وهذا القرش الروحي ، الذي يستطيع كل مصري أن يؤديه استطاعته اداء القرش المادي — في أي ناحية يجب أن ينفق وأي مصنع يجب أن يقام كأثر من آثاره ؟ هذا ما أترك للشباب البحث فيه وبقيني أنهم مهتدون الى خير ما يثمر البحث في هذه الناحية كما اهتدوا الى خير ما أثمر البحث في ناحية القرش . وهم أقدر على تصوير التضامن المعنوي والتضامن الروحي وما يثمران !..

المسائل التي تمس الزراعة والري والصحة وما الى ذلك وهو يعتبر كأنه فرع من المجمع العلمي الفرنسي المستقر في باريس ولأعضائه اذا ذهبوا الى مدينة النور أن يشهدوا جلسات هذا المجمع . وهو دول كما يقولون فيه علماء يمثلون الاجانب الذين يقيمون في مصر على اختلاف جنسياتهم، وفيه مصريون . ولكن مصر لا تكاد تحسه ولا تشعر به وان اعانته الحكومة المصرية بالمال ، وان كثر ما ينشره من الكتب والمذكرات، وان أحسن نشرته في نظام واسطرار لأن لغته ليست اللغة العربية وانما هي اللغة الفرنسية غالباً والانجليزية أحياناً . ولست أدري أنشر هذا الفصل في مجلة باريس بمناسبة المرسوم الملكي الذي صدر في منتصف الشهر الماضي بانشاء المجمع الملكي للغة العربية أم هي مصادفة مطلقة ؟ أرادت أن تشتغل مجلة من أكبر المجلات الاوروبية بالمجمع العلمي المصري القديم ، في الوقت الذي تشتغل فيه الصحف المصرية والأدبية بالمجمع الملكي الجديد .

ولكن شيئاً يدعو الى التفكير على كل حال حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس وهو نشاط الفرنسيين واسراعهم الى انشاء هذا المجمع وفتور المصريين وابطاؤهم في انشاء مجمعهم اللغوي .

أيام قليلة لا تكاد تبلغ الخمسة حتى لأن يتكلم بونابرت في مجمعه العلمي الى بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يرافقونه ويصدر اليهم أمراً بأن يجتمعوا فيضعوا له نظاماً ويرشحوا له أعضاء . ولأن يجتمع هؤلاء العلماء فيضعوا النظام ويرشحوا الأعضاء ولأن يصدر المرسوم ويعقد المجمع جلسته الأولى وما هي إلا أسابيع قليلة حتى يجمع العلماء الفرنسيون الذين كانوا مفرقين في الاسكندرية ورشيد ليأخذوا مجالسهم في مجمع القاهرة ولا يكاد يعقد المجمع جلسته الاولى حتى يبدأ البحث وتقرأ المذكرات وتنشر الرسائل وكانت المطبعة والمعامل قد أعدت من قبل وما هي إلا أعوام حتى يظهر هذا الأثر الخالد لهذا المجمع وهو كتاب وصف مصر .

أما نحن فنفكر في مجمعنا اللغوي منذ أعوام طوال ونحاول انشاءه فلا نوفق . فكرنا فيه ان صدقتنا الذاكرة في أوائل هذا القرن وقبل الحرب الكبرى وفكرنا فيه وحاولنا انشاءه أثناء الحرب وفكرنا فيه بعد الهدنة وفكرنا فيه بعد الاستقلال وأعددنا له مشروعاً ومشروعاً ومشروعاً وكان بعض هذه المشروعات يضيع فلا يهتدي اليه ، وبعضها ينام فيطيل النوم وبعضها يفر قبل أن تبعث فيه الحياة . وأخيراً وبعد التفكير والتقدير ، وبعد الذهاب والاياب، وبعد السفر والاقامة صدر المرسوم ، وقيل في البرلمان ان المجمع اللغوي قد أنشيء . وهو قد أنشيء حتماً مادام المرسوم الذي ينشئه ويحدد أغراضه ويرسم شكله ويبين له خطة العمل قد صدر ونشر وتحدثت عنه الحكومة في البرلمان . ولكنه منشأ بالقوة لا بالفعل ، لأن مكانه لم يعرف وأعضاءه لم يعاروا وأبحاثه لم تنشر ، والوجود بالقوة خير من العدم على كل حال . اعق بونابرت أيما ليتني، مجمعاً ينتج بالفعل في واد عجيب من العلم والفن والادب . وأنفقت مصر ثلاثين عاماً لتنشيء مجمعها وتنشر أبحاثها .

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس . فالمجمع المصري القديم الذي أنشأه بونابرت لم يكن مقصوراً على جنسية بعينها ، وكان فيه منذ انشائه قسيس يوناني شرقي ، وهذا المجمع لا يزال الى الآن دولياً ، لا تستطيع أمة أن تقول ان لها فيه الكثرة حتى ولا مصر التي تؤويه وتنفق عليه وتمكنه من الحياة وفضلاً عن ذلك ان مصر هذه التي تؤوي وتعد بالمال لا تستطيع أن تقول إن مجمعها المصري يعترف بلغتها على أنها اللغة الرسمية ومجمعنا اللغوي الجديد دولي أيضاً ، سيمثل فيه الشرق العربي كله ، وستمثل فيه أمم أوروبية مختلفة ، يشتغل بعض أبنائها باللغة العربية . وقد تكون اللغة العربية لغة المجمع الجديد وتديسة بين أعضائه بالفرنسية أحياناً وبالانجليزية أحياناً أخرى، وربما كانت هذه اللغة أو تلك أيسر وأدنى الى أن يفهم بعض الاعضاء بعضاً . وكذلك يكون في مصر مجمعان دوليان أحدهما على قديم والآخر لغوي جديد . وكذلك تضرب مصر للناس أحسن الامثال في الايمان بأن العلم يجب أن يكون فوق الاوطان والقوميات واللغات الخاصة !

وشيء آخر يدعو الى التفكير حين نقرأ الفصل الذي نشرته مجلة باريس ، وهو أن المجمع الذي أنشأه بونابرت كان يعقد جلساته في اتصال غريب لا يعرف أراحة ولا هدوء ، وهو الآن يعقد جلساته مرات في الشهر أثناء سنة العمل ، لا يستريح الا في الصيف حين يتفرق الاعضاء .

أما مجمعنا اللغوي الجديد فسيجتمع شهراً في العام في الشتاء أو في الربيع ، فاذا فكرت في أن المجمع العلمي المصري واحد من مجامع تعد بالعشرات . وأنه لو استراح من العمل لم يكد العلم يخسر كثيراً وأن مجمعنا اللغوي انما نشيء بالقوة سيكون يوم ينشأ بالفعل واحداً من مجامع لا تبلغ أصابع اليد الواحدة عدداً ، وأنه يريد أو يراد له أن يضع معاجم في اللغة منها العادي ومنها التاريخي وأن يجدد اصطلاحات العلوم والفنون وينشيء منها ما لم يوجد وأن يشرف بعد هذا كله على حياة الادب واللغة وصفائها . نقول اذا فكرت في هذا كله وافقتنا على أن انعقاد مجمعنا اللغوي شهراً كل عام في الشتاء أو في الربيع أقل جداً من أن يتيح له النهوض ببعض ما يطلب اليه . ولكن المجمع اللغوي قد وجد على كل حال ولو بالقوة « وماش خير من لاش » كما يقول المثل ومن يدري لعل أعضاءه لا يكادون يجتمعون لاول مرة حتى تشرب قلوب بعضهم حب بعض ويعز كل منهم على صاحبه ويكرم في نفسه ، فلا يفترقون بل يبقون في القاهرة يعملون طول الخريف وطول الشتاء وطول الربيع ، ولا يتفرقون في الصيف الا كارهين !

صور من التاريخ الاسلامي

ابو ذر الغفاري

للدكتور عبد الحميد العبادي

الأستاذ بكلية الآداب

العربي القديم من أبسط الناس طبيعة ، وأوضحهم سريرة ، وأصرحهم لسانا ، وأشدهم استمساكا بما يراه الحق ، وأعظمهم حمية ، أن يجرى عليه ذل أو ضيم . ثم هو من أكثر الناس قناعة ، وأرضاهم من حطام الدنيا بالكفاف .

ذلك الخلق ، الذي قد لا ترضى عن بعض نواحيه النظريات الاخلاقية الحديثة ، يرجع الى البيئة الطبيعية والاجتماعية التي نشأ العربي في حجرها ، صيغ على مثالها . فالبادية محدودة الحاجة ، ونظام القبيلة الاجتماعي انما هو نظام الأسرة مكبرا . وكم للناس من فضائل هي وليدة بيئتهم ، وان شئت قل : كم من فضائل الناس ما هو مرزوق غير مجلوب ، وموهوب غير مكسوب !.

ولقد جاء الدين الاسلامي مطبوعا في جملته بالطابع العربي ، موسوما بسمته ، قد سلك الى الحقيقتين الدينية والاجتماعية أقرب السبل ، وعبر عنهما أوجز تعبير وأبلغه . فهو من ناحية يأمر بالتوحيد المحض ، ومن ناحية أخرى يأمر بالتسوية بين الناس في الحقوق العامة ، وبالأخذ من الدنيا بحساب .

ولكن شاء الله أن يبعث العرب من حزيرتهم غزاة فاتحين ، وان يحولوا مواريث أمم التبس عليها أمر الحقيقتين المذكورتين ، فلم يلبث العرب ان تأثروا بتلك الأمم وانتقلت اليها أدواؤها وأسبابهم ما أسبابها من لبس واضطراب . فأما الحقيقة الدينية السهلة فقد عبرها غلاة الفقهاء والمتكلمين ، وأهل الأهواء والنحل ، أمراً صعبا مستصعبا ، له ظاهر وباطن ، وقريب وبعيد .

ليس من موضوعنا أن نفيض قبا طرأ على الحقيقة الدينية في صدر الاسلام ، ولكن موضوعنا مقصور على ما يرى الحقيقة الاجتماعية فنقول ان هذه أيضا قد ضل عنها وحال السياسة ضلالا بعيدا . فأفسدوا بذلك النفس العربية الساذجة ، وأبدلوها بالزهد في الدنيا شغفا بها ، وتهالكا عليها . نعم ان أبا بكر وعمر أنفقا لجهدا غير يسير في سد ذرائع هذا الخطر ، وبدآ في ذلك بأنفسهما . فكانا مضرب المثل في القناعة والزهد وخشونة العيش . وحاول ثانيهما أن يحمل الناس على القصد والاعتدال فلم يقسم بينهم الأرض المفتوحة عنوة ، ثم زاد فمنع قريشاً من الخروج الى البلدان المفتوحة الا باذنه والى أجل . فلما شكوه خطبهم خطبة قال فيها تلك المقالة التي تفيض

قوة وتصميما . . . . . ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات من دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا ! إني قائم دون شعب الحرة فآخذ بحلاقيم قريش وحجزها ان يتهافتوا في النار ، فلما ذهب عمر لسبيله وولى عثمان تنفست قريش وسرى عنها ، وأقبلت تستغل لين ذي العودين وحياءه الجم ، فانطلقت الى الامصار تقتني المال الوافر والعقار الواسع والاقطاعات الثرية على ضفاف دجلة والفرات والنيل ، وتتسلك أرضا هي بحكم نظام عمر وقف على عامة المسلمين يشركون جميعا في غلته . فأثرت قريش وربحت ، وصارت الى رفاغة عيش لم تكن لها من قبل بخيال . يحدثنا أبو الحسن المسعودي فيقول : « وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والقرى ، منهم الزبير بن العوام ، بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت . . . . . وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية وما علم من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول الى هذه الغاية . وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار . وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي ، ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناسة بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك (؟) وبناحية سراة (؟) أكثر مما ذكرنا ، وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج ؛ وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم ، وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا . وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . وابتنى المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن . ومات يعلى بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك » ثم يقول المسعودي « وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الأموال في أيامه ، ولم يكن مثل ذلك في أيام عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة »

مهما يكن من المبالغة في هذا النص ، فهو لاريب يشير الى حال كانت لابد مثيرة لمعارضة حادة غير هازلة ، فالمهد بصاحب الشريعة الاسلامية وشيخين كان لا يزال قريبا ، ومبادىء الاسلام الديمقراطية لم تمح بعد من الاذهان ، وقد وجد نوعان من المعارضة لهذه الحال : نوع يستند الى العنف والقوة المادية ، وكان بالأمصار الكبرى ، حيث الجند الذين شادوا الدولة بسيوفهم والذين أصبحوا يرون قريشاً استأثرت بحقهم في الفيء ، وبلسان هؤلاء يقول شاعر من أهل الكوفة : —

يلينا من قريش كل عام ... أمير محدث أو مستشار
لنا نار نعرفها فحتي ... وليس لهم فلا يخشون نار

ومن هذا القبيل معارضة أهل المدينة . ولكنها كانت ذات صوت خافت مجمج لأن المدينة لم تعد محل القوة المادية فى الدولة العربية فقد خلفها فى ذلك الأمصار المذكورة . والحق ان الاوس والخزرج قد أدوا الواجب الذى من أجله لقبوا (بالانصار) ثم أخذ نجم مجدهم السياسى فى الافول . وأما النوع الآخر من المعارضة فكان يستند الى الدليل الشرعى والى مبدأ الحق والعدالة . وهذا كان يحمل لواءه عالى وجل قوال اللسان ، ثبت الجنان ، صريح فى الحق كل الصراحة : ذلك أبوذر الغفارى .

* * *

كانت غفار من القبائل الضاربة حول المدينة ، وكانت فى الجاهلية تحترف قطع الطريق واعتراض القوافل التى تمر من أرضها وهى حرفة لم يكن بها بأس فى عرف ذلك الزمان . فنشأ أبوذر نشأة أعرابية ، واتصف بما يتصف به الاعراب عادة من صدق اللهجة وصراحة القول ، ومرن على حياة البادية بما فيها من خشونة وسذاجة . ويقال انه بقوة عقله وصفاء ذهنه أدرك ما عليه قومه من فساد العقيدة ، فاطرح الأوثان ووحد الاله وذلك قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . فلما نبىء عليه السلام وبلغت أباذر دعوته ، وجد مشاكلة قوية بين هذه الدعوة وبين ما كانت نفسه اطمأنت اليه من قبل ، فرحل اليه من فوره ، وما هو إلا أن لقيه وسمع منه القرآن حتى أسلم وكان خامس خمسة هم كل الجماعة الاسلامية اذذاك . ولقد أبى إلا أن يجهر فى مكة بدينه الجديد فتعمدته قريش بالأذى ثم ذكرت أنه من قوم تمر غيرها من أرضهم ، فكفت عنه .

عاد أبوذر بعد ذلك الى البادية فدعا قومه الى الاسلام فأسلم بعضهم ، ثم أسلم سائرهم عندما هاجر الرسول الى المدينة ، وبذلك أصبحت غفار من القبائل التى ظاهرت الرسول فى محاربته قريشاً . وقد لبث أبوذر فى قومه الى أن تمت الهجرة وانقضت أيام بدر وأحد والخندق ثم قدم المدينة وخرج مع الرسول فى غزوة تبوك ولزم صحبته الى ان توفى عليه السلام فكان بذلك من أكبر رواة الحديث .

وقد وردت أحاديث تشير الى أخلاق أبى ذر فيروى أن النبى سمعه يقول لآخر « يا بن الامة » فقال عليه السلام « ما ذهبت عنك أعرابيتك بعد » وتخلفت بأبى ذر راحلته عن الجيش فى غزوة تبوك فتركها وأدرك الجيش ماشيا وحده فقال الرسول « . . . يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده » وورد فيه أيضا « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر »

وأقام أبوذر بعد وفاة الرسول بالمدينة ، فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب ألحفه عمر فى العطاء بأهل بدر تشريفا لقدره وان لم يكن منهم ، وفرض له خمسة آلاف درهم فى السنة . ثم خرج الى الشام ، وغزا مع معاوية أرض الروم سنة ٢٣ هـ و جزيرة قبرص سنة ٢٧ هـ

* * *

فلما وقف تيار الفتوح العربية منتصف خلافة عثمان أقام أبوذر بالشام فرأى ما آل اليه المسلمون من الحال التى سبق وصفها . رأى رجال الدولة تسمى الفىء مال الله ، وسلا بهذه التسمية الخادعة الى الاستئثار به أو التصرف فيه كما يشاءون . ورأى المجتمع قد استحال فريقين متباينين : أغنياء مترفين وفقراء معدمين ، فأثارت تلك الحال حفيظة أبى ذر وهو الذى شهد دورة الفلك كاملة ، ورأى العرب فى جاهليتهم وما صاروا اليه فى خلافة عثمان ، فنصب نفسه لمكافحة تلك الحال مهما جر عليه ذلك . فأعلن برنامجه فى الاصلاح . فاما الفىء فيجب أن يسمى (مال المسلمين) لا (مال الله) وأما الاغنياء فيجب أن يرد فضل أموالهم على الفقراء ، وذهب أبو ذر الى ان المسلم « لا ينبغى له أن يكون فى ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شىء ينفقه فى سبيل الله أو يعده لكريم » أخذ ذلك من ظاهر قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » وبذلك البرنامج أصبح أبو ذر داعية اشتراكيا صريحا . وقد شاعت دعوته فى فقراء الناس وجاورهم فثاروا بالاغنياء وطالبوهم أن يشركوهم فى أموالهم ، فتوجه الاغنياء بالشكوى الى أمير الشام لذلك العهد : معاوية بن أبى سفيان .

أحب معاوية قبل كل شىء ان يختبر صدق أبى ذر فيما يدعو اليه ، فبعث اليه فى جنح الليل بألف دينار ولما كان الصبح أرسل اليه يستردها بحيلة احتالها فوجد أبا ذر قد فرقها كلها ، فعلم معاوية أن الرجل يفعل ما يقول . فأقبل يجادله فيما يدعو اليه وعلى سبيل التوضية له قبل ان يسمى الفىء (مال المسلمين) بدلا من (مال الله) ولكن أباذر أصر على أن يزيل الاغنياء عن فضل أموالهم للفقراء ، وعبثا حاول معاوية أن يقنعه بان الآية التى يستدل بها انما نزلت فى أهل الكتاب وحدهم . وأعيا معاوية أمر أبى ذر فجنح الى أخذه بالشدة فنهى الناس عن مجالسته وتهدده بالقتل فلما لم يجد كل ذلك رفع أمره الى عثمان فأمره بأشخاصه اليه ، فأشخصه اليه على شر حال .

لم يكن أبو ذر فى المدينة بأسعد منه فى الشام فقد حاول عثمان أن يصرفه عن دعوته ، ويريه أنه لا يملك ان يجبر الناس على الزهد وعلى أن يؤدوا غير فريضة الزكاة ، وان كل الذى عليك هو ان يدعو الناس الى الاجتهاد والاقتصاد . ولكن أبا ذر كان يريد برنامجه كاملا ، وولع به أهل المدينة والتفوا حوله ، فرأى عثمان آخرة الامر ان يحصر الخطر فى أضيق دائرة ممكنة فنفى أباذر الى الربذة وهى مكان فى البادية نائ عن المدينة . والظاهر أن عثمان لم يرد أكثر من إبعاد ابى ذر عن الناس ، فالروايات تقول إنه أجرى عليه رزقا يناله كل يوم وأنه لم يمنعه من الاختلاف الى المدينة من حين لآخر حتى لا يرتد أعرابياً .

لم يكن أبوذر ثائرا ولكن طالب اصلاح ارتآه . ومما يدل على عدم نزوعه الى الثورة انه وهو فى منفاه مر به ركب من أهل الكوفة ممن كان منحرفا عن عثمان فطلبوا اليه أن ينصب راية يلتف حولها كل من كان على شاكلته وشاكلتهم ، فأبى ذلك بتاتا ونهاهم عنه : وأما مذهبه فى الاصلاح فلا شك أنه ابن بجدته ، فالاسلام لايحظر الثروة ولا الملكية ، ولا يوجب على المسلم حقا فى ماله غير الزكاة ، وكل ماينهى عنه الاسلام فى هذا الصدد انما هو ان تجعل الثروة غرضا مقصودا لذاته .

وعندى أن حركة أبى ذر الاشتراكية تمت بسبب قوى الى حركة مزدك الشيوعى الذى ظهر بفارس على عهد قباذ وكسرى انوشروان ، والذى كاد يقلب نظام المجتمع الفارسى رأسا على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه . فاذا عرفنا أن اليمن خضعت لفارس قبيل الاسلام وان يهوديا من أهل صنعاء يعرف بابن السوداء ادعى الاسلام فى خلافة عثمان وجعل يطوف الامصار الاسلامية داعيا الى الثورة ، وأنه هو الذى حرك أبا ذر لما آنس فيه من الميول الاشتراكية ، اذا عرفنا ذلك كله فقد وضحت الصلة بين الحركة الشيوعية الفارسية المديمة وبين الحركة الاشتراكية التى أوشكت أن تقع فى الدولة الاسلامية على عهد ثالث الخلفاء الراشدين .

* * *

لبث أبو ذر فى منفاه نحو ثلاث سنين يعانى ألم الوحشة وكبر السن وخيبة الامل فلما أدركه الموت فى سنة ٣٢ كانت وفاته مؤثرة ودالة على شدة ثباته على مبدئه حتى النهاية ، وعلى أنه حقا قد مشى وحده ومات وحده ، يروى ابن سعد فى طبقاته أنه عندما حضرت الوفاة أبا ذر حارت امرأته فى أمرها لتوحدها فى تلك الفلاة « وكانت تشد الى كثيب تقوم عليه فتنظر ثم ترجع اليه فتمرضه ، ثم ترجع الى الكثيب ، فبينا هى كذلك اذا هى بنفر عدتهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم ، فألاحت بثوبها ، فأقبلوا حتى وقفوا عليها ، قالوا مالك ؟ قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه . قالوا ومن هو ؟ قالت أبوذر . فقدوه بآبائهم وأمهاتهم ، ورضوا السياط فى صدورها ، يستبقون اليه حتى جاءوه . فقال لهم ... ... ولو كان لى ثوب يسعنى كفنا لم أكفن الا فى ثوب هو لى ، أولا مرأتى ثوب يسعنى لم أكفن الا فى ثوبها ، فأنشدكم الله والاسلام الا يكفنى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو نقيبا أو بريدا . فكل القوم قد كان قارف شيئا من ذلك الا فتى من الانصار قال انا أكفنك فانى لم أصب ماذكرت شيئا ، أكفنك فى ردائى هذا الذى على وفى ثوبين فى عيبتى من غزل أمى حاكتهما لى . قال أنت فكفنى .... فكان ذلك الفتى الانصارى هو الذى تولى تجهيزه ثم دفنوه جميعا .

وهكذا انطفأ سراج هذه الشخصية الفذة العجيبة . أنها لاشك من تلك الشخصيات التى يقدمها الزمن عادة بين أيدي الاحداث

العلم والخلق

للدكتور منصور فهمى استاذ الفلسفة بكلية الآداب

وجهة العالم فى أن يدرك الأمور على ما هى عليه ، ونشاطه فى أن يكسب للمعرفة من ميدان الجهل ، وأن ينشر النور حيث يخيم الظلام . ووجهة الخلقى فى أن يصور الأمور على ما ينبغى أن تكون عليه الأمور ، وأن يلفت الأنظار الى مثل عليا تحفز بالناس للتسامى اليها والارتفاع بأنفسهم وبالحياة الراهنة الى ما هو أرفع من أنفسهم وأرفع من الحياة الراهنة .

ولطالما اضطربت الافهام واستغلق الأمر على الباحثين حين تعرضوا لاستجلاء الصلة بين العلم وبين الأخلاق فحسبوا أن الشائع بينهما مقطوعة حين نظروا الى وجهتين مختلفتين : وجهة من يصف ويعلل ، ووجهة من يرتضى مثلا ويوجه اليه ، وجهة من يهز صوته الفكر ويتردد صدى هذا الصوت بين جوانب الدماغ ، ووجهة من تؤم نفاثه مجاويف القلب وتسرى فى أقنية الدم ، وعلى أسلاك العصب لتدفع بالنفس كلها الى العمل .

ولطالما رأى غير قليل من المفكرين أن العلم النظرى وثمراته التطبيقية لاتؤثر فى الناس لتهذيبهم على نحو ما تؤثر العقائد الدينية والفلسفة والمثل العليا ، حتى أن بعض قادة الفكر فى الزمن الحديث أمثال « بسكال » و « ديكارت » اضطروا لانفسهم ذلك الرأى فتخطوا العلم ليحدوا فى الدين وفى العرف مرشدا لسلوكهم ومأمنا لأحكامهم وتقديرهم فى آحاد الحسن من الأفعال وتجنب القبيح منها ، وفى اتخاذ السبيل لراحة النفس واطمئنانها . بل قد ذهب غير قليل من مفكرى عصرنا الى إساءة الظن بالعلم لطالما أورار الحروب القاسية ، وأخطار الفراغ العالى ، وأضرار الثورات الاجتماعية العنيفة ومساوىء المطامع والتنازع الحاد ، حتى وقد يالغرب فى لوم العلم الى حد أن يروا على نحو ما روى « اينشتين » فى أنه ذلك المسىء الى الحريات الانسانية ، فمن ينظر الى تلك المصانع وما فيها من آلات منوعة ، وأعمال موزعة ، يتبين أنها تتناصر جميعاً على استعباد عدد من العمال وغير ، وتسخيرهم تسخيراً آليا تضمحل معه نفوسهم ، وتهن من تأثيره كرامتهم ، بل ربما يذهب الناهبون فى مذهبهم المدانى للعلم الى الخطيره إنذارا للناس واقامة للحجة عليهم اذا لج بهم الغرور فلم يرعووا ولم يزدجروا .

على أن روح أبى ذر لم يكن ليغيب مع جثمانه فى تلك الفلاة البلقع ، فقد ظل صوته داويا الى أن عفق ما أنذر به المدينة من « غارة شعواء وحرب مذكار » ووقعت الفتنة الكبرى التى يقال أنها أنتجت كل فتنة حدثت فى الاسلام . ولقد كانت غفار ممن نهض فيها وألقى فى نارها حطبا .

حد أقصى مما تقدم ، فلا يشفع له عندهم فضل المحسن الى البشر اذ يقاوم الأمراض الفتاكة ، ويسر المسافات البعيدة ، ويرفه الخلق فى كثير ، فمع ذلك ورغم ذلك قد ينكرون على العلم قيمته وفضله لأن من يستطيع الاحسان فى شىء قد تكبر تبعته ويعظم أثمه اذا هو استخدم سلاحه للاساءة والعدوان وهو عارف لمواضع الاحسان . وأى اساءة أعظم من اساءة الحروب المنزة بمجهود العلم ؟ وأى عدوان أشد من تحويل عدد عديد من الناس الى صنف من المخلوقات يسترق فى الانتاج شهوة ومن غير قصد ، ويسترق فى الاستهلاك شهوة ، ومن غير حد ؟ .

على أن هذا النحو من النظر العدائي ربما كان بعض مصدره ما تتعرض اليه النفوس والملات أحيانا من الخلط بين الوسائل وغاياتها ، وبين العلل ومعلولاتها ، وبين الحال وبين المحل مما هو شائع ذائع .

وعلى هذا النحو خلط الكثيرون بين العلم المحض الخالص وبين نتائج العلم وتطبيقاته فى شؤون الحياة ، وكذلك قد ظلموه على نحو ما يظلم السيف المهند فى يد الجندى الجبان

وليس حظ السذج والعامة فى الخلط بين العلم وتطبيقاته بأربى من حظ بعض الخاصة وأشباههم فى هذا الأمر . فقد يطلب الكثيرون من معاهد العلم ودوره أن تفيض عليهم وعلى أبنائهم من المتعلمين بما ينتفع به الناس انتفاعا عملياً حتى شاعت فى السنين الأخيرة عندنا وعند غيرنا من الأمم بدعة العلم العملى والتعليم العملى ونادى بها أكثر من كاتب ، وقال بها أكثر من مشتغل بشؤون التعليم . ولو أنصف هؤلاء وهؤلاء لاعترفوا للعلم بطبيعته النظرية ، وقدروا له حرصه على المعرفة لذاتها فحسب ، دون تقدير لنتائجها الضارة أو النافعة .

لكن غير المشتغلين بالعلم الخالص من أفراد الناس عامة هم الذين وجهوا نتائج العلم للخير وللشر وللحسن وللقبيح ، دون أن يكون للعلم فى ذاته دخل فى ذلك التوجيه . فما على العلم اذن وماله اذا ما استخدم الانسان بعض آثاره ليعيث بها فسادا أو ليصلح بها فى الوجود ؟ .

ليس فى قانون البحث العلمى ما يلزمنا أن نحكم بأن غازا من الغازات يجب أن يتوجه لحيث يحيي أو لحيث يميت ! وليس فى قانون العلم أن جوهرا من الجواهر يجب أن يكون سما ناقعا أو بلسما نافعا ! لكن طبيعة الانسان تعافيها من رفعة أو ضعة هى التى تستخدم السم لتجعل منه الدواء أو لتجعل منه الداء ، وهى التى تستخدم الشىء الواحد يكون نعمة أو نقمة . فمدار الخير أو الشر اذن انما هو منوط بالانسان

. . . على أن الناظر الدقيق لو أنه تأمل مليا لوجد أن العلم تشمل عدة عناصر تهيىء النفس للتسامي والخير . ذلك لأن العلم يشىء ن الأشياء ، وتكشف الحق فى جهة من الجهات ، واطلاق النور فى كامن الديجور كل ذلك انما يشعر بعظمة العقل وجدارة الانسان ، فى الشعور بالعظمة والجدارة أول مصدر للخلق ونبالته . ولست أريد

التجديد فى الدين

للاستاذ أمين الخولى المدرس بكلية الآداب

مقال لمشروع القرش ، وحول مشروع القرش ، يحضر النفس ذكر الشباب ، والتضامن والاستقلال والحياة والقوة وتجديد مجد مصر .. ثم نحن الآن فى رمضان : صوم وزهد وتدين .. فمن تداعى هذه المعاني يأتلف العنوان « التجديد فى الدين »

عنوان قد يطلع على البعض جريئا بل ربما كان مزعجا لكثير من المتدينين الذين يتعجلون الحكم على الاشياء قبل اختبارها ويبتدرونها بتلك الأحكام الناضبة السريعة . فان يتعلوا ذلك قبل الفراغ من المقال فهذا هو الذي يفقد أحكامهم قوتها وحرمتها . ولئن يتريثوا حتى يقرؤا فسيرون أنهم كثيرا ما يثورون فى وجه من لا يستحق منهم الا التقدير .

عنوان قد يكون نابيا قلقا عند غير المتدينين . لأنهم يرون فى الشيوخ صورة المحافظة المسرفة ، بل يعتبرونهم حجر عثرة فى سبيل التجدد على اختلاف ألوانه . ويحملونهم تبعة الكثير مما أوقف الشرق وأخره . ويرونهم جند الرجعية ومعقلها . ويصدر الكثيرون عليهم أحكاما رهيبة . لكنها سرية قل من يجرؤ على مجاهرتهم بها . فأصحاب تلك الآراء والأحكام قد يبدون هذا العنوان دعابة مازحة ومفارقة فكهة . لكنهم إن يتعجلوا الحكم كذلك قبل أن يقرؤا فهذا بعض تطرفهم الذى يفقد جهادهم قوته ويعوق نجاحه . ولئن يطمئنوا حتى يقرؤا فسيرون أن كثيرا مما ثاروا فيه على الدين ليس من الدين فى شىء وأن الدين غير المنتسبين الى الدين .

العنوان حقيقة صحيحة صريحة لا فكاهة فيه ولا مروق « ان شاء الله » . فى الدين فكرة واضحة عن التجديد تبين ناموسا كونيا وتنبه الى سنة اجتماعية مطردة لا تتبدل . اذ ورد فى الحديث « ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » أو ما هذا معناه . وهو حديث صحيح نص على صحته متقدمون منهم البيهقى والحاكم ومتأخرون منهم ابن حجر والعراقى .. وراجت فكرة التجديد فى الاسلام . وعني العلماء ببيان مجددي كل مائة وتعيين اسمائهم ، وأعمالهم والترجمة لهم ... ولا أريد هنا وفى هذه الالمامة الصحفية ، أن أعنى باستقصاء تاريخ فكرة « التجديد فى الدين » بل أكتفى بان أشير فى

فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتعرض لما يحدثه العلم واصطناعه فى تقوية الاستعدادات الخلقية الكريمة ، وحسبى أن أنبه طالب العلم الى أن العلم فى جوهره نبيل وأن المنتمي اليه يجب أن يكون نبيلا . فيا طالب العلم لا تأثم فى حقه فتتوجه به الى منخفض من الحياة ، والى مافى الدنيا من ضعة ! واعمل دائما على أن تعلو بعلمك الى السماء وتحلق به حيث شرف النفس ورفعة القصد وأطلق المعانى السامية وعالم الخير

ذلك الى مجموعة تنتظم من خير التجديد والمجددين سورة كاملة من الهجرة الى اليوم ، وهى تتألف من منظومة للسيوطى فى هذا الموضوع سماها « تحفة للمهتدين فى بيان أسماء المجددين » ومطلع هذه المنظومة :

لقد أتى فى خبر مشتهر ... رواه كل حافظ معتبر
بأنه فى رأس كل مائة ... يبعث ربنا لهذى الامة
منا علينا عالما يجدد ... دين الهدى لانه مجتهد

وعلى هذه المنظومة شرح للشيخ محمد المراغى المالكى الجرجاوى الذي عاش فى القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وسمى هذا الشرح « بغية المهتدين ، ومنحة المجدين ، على تحفة المهتدين . . . الخ » . شرح فيه منظومة السيوطي ثم أكمل أسماء المجددين نظما الى عصره وشرح نظمه على طريقة شرحه نظم السيوطى [1]

وفى بيان الدينيين لمعنى التجديد تراهم يقولون : انه نفع الامة ، ودفع المكاره عن الناس ، ونصرة الحق وأهله ، واحياء ما اندرس من أحكام الشريعة ، وماهى من معالم السنن وما خلق من العلوم الدينية ويتحدثون عن تغير الحياة واستحداث أشياء تحتاج الى تناول جديد وحسبك من قولهم فى معنى التجديد ماورد فى المجموعة السابقة من عبارة النظم والشرح ممتزجتين وهى : « وانما كان مجدداً لانه أى المبعوث فيما مجتهد وشأن المجتهد التجديد . . . . » ولئن اكتفوا فى الأزمنة الاخيرة بالاجتهاد المقيد فبحسبهم ان ناطوا التجديد بالاجتهاد وفسروه به وأبعدوه عن التقليد الذي هو آفة العقول وعلة الجمود . وتراهم حين يعدون أسماء المجددين فى كل طبقة قد يعدون المجددين ويخصون كل مجدد بفرع من فروع العلم أو العمل . فيوسعون الدائرة توسعة محمودة

تلك فكرتهم فى تجديد الدين : وانها لفكرة فى التجديد متزنة رزينة مقدورة لنظام الحياة وتدرجها معادية للجمود وقاضية عليه قاتلة لاهله . . . . واذا كان الدين وهو وحى السماء والاسلام وهو رسالة لا رسالة بعدها هو الذى يقرر لاهله أن نظام الحياة العاملة يحوجه الى التجدد ويعيء الله له على الزمن من ينفى عنه مظاهر الجمود ، وعوامل الوقوف ؛ اذا كان هذا حال الدين ، وذاك شأن الاسلام ، فرافق الحياة ، وظواهر المعيشة التى لا ثبات لها ولا استقرار ، والتى هي وليدة الظروف وصنيعها ، أشد حاجة الى التجدد والتغير . . . . . واذا كانت البعثة الدينية التجديدية نعمة على المتدينين ، وفضلا من الله ونعمة ، فالمنتسبون الى الدين حين يقابلون المبعوثين لهذا التجديد ، ويجمدون على ما وجدوا عليه آباءهم ، انما ينكرون نعمة الله ، ويصدون عن سبيله ويبغونها عوجا — وما هم بالغيه — وهم ، وبين أيديهم ذلك الاثر ، وعليهم ذلك الواجب لا يأمنون بجمودهم اثما واحدا ، بل آثاما كثيرة : انهم لانهم لا يتجددون وانهم لانهم لا يجددون وانهم لانهم يحولون المتجددين المجددين فى تعنت أصم لا يميز الخبيث من الطيب مهما تبينا ولا يعرف داعى الله من داعى الشيطان

(١) ان هذه المجموعة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٨٧ تاريخ

وما ننسى أن الكلمة لمشروع القرش وحول مشروع القرش فلنعد الى مصر المتجددة بجهاد شبانها مصر ذات الحيوية الفياضة وصاحبة الشخصية الخالدة والتى أسدت الى الانسانية والحضارة أطهر الأيادى وأشرفها على تطاول السنين وتعادى الايام . نعود لنقول ان مصر كعادتها فى ذلك قد اضطلعت من تجديد الدين بالحظ الاوفر وساهمت فيه بالنصيب الاكبر على سعة الامبراطورية الاسلامية وترامى أرجائها وانتظامها الواسع الأفيح أقطار الدنيا القديمة . فأنت حين تعرض أسماء أولئك المبعوثين المجددين على رؤوس المئات خلال الثلاثة عشر قرنا من تاريخ الهجرة تراهم يعدون هكذا :

فى المائة الاولى ... عمر بن عبدالعزيز
« « الثانية ... الشافعى
« « الثالثة ... ابن سريج العراقي أو ابو الحسن الاشعرى
« « الرابعة ... الباقلانى أو الاسفراييني
« « الخامسة ... الغزالي
« « السادسة ... الفخر الرازى
« « السابعة ... ابن دقيق العيد الشافعى
« « الثامنة ... البلقينى أو غيره
« « التاسعة ... السيوطي
« « العاشرة ... الرملى أو غيره
« « الحادية عشرة ... عبد الله بن سالم البصرى
« « الثانية عشرة ... الدردير
« « الثالثة عشرة ... أحمد الشرقاوى
« « الرابعة عشرة . . . . . ؟

وتجيل نظرك فى هذه الجريدة من الاسماء فترى — كما لاحظ القدماء أنفسهم — ان الكثرة المطلقة من هؤلاء المجددين مصرية رجال أنجبتهم وآوتهم وعلمتهم مصر ذات الفضل التليد على المدنية منذ عرفها بنو آدم ، فبين هؤلاء الثلاثة عشر مجددا ثمانية من المصريين هم : عمر بن عبدالعزيز وليد مصر الناشيء بها والشافعي الذى حمته وفيها علم وابن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى ، والبلقيني المنسوب الى بلقينة قرب المحلة والسيوطى والرملى المنسوب الى رملة قرب منية العطار تجاه مسجد الخضر والدردير العدوى والشرقاوى الجرجاوى ... وان شئت عددت لمصر منهم تسعة فصر فى القرن الرابع عشر الهجرى هي قلب الشرق الخافق وعقله المفكر وقد تصدرت فى شجاعة ونبل لحمل أعباء تلك القيادة منذ بدأ ذلك الشرق يمسح عن عيونه آثار النوم ويتهيأ ليقظة نشطة باهرة تمدها عزمة قاهرة تكتب له النجاة وترد له حقه فى الحياة ... ولا أريد اليوم أن أسمى مجدد هذه المائة أو مجددها من المصريين حتى لا أحابى أحداً ، ولا ألقن رأيا وانما أترك الكلمة فى ذلك لشبان الشرق وشبان مصر .

« البقية على صفحة ١٨ »

في الأدب العربي

حلقات الأدب في الفسطاط

للدكتور محمد عبد الله عنان

— ٢ —

لبثت الفسطاط عاصمة الاسلام في مصر منذ قيامها سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م). وفي ذلك العام كان الفتح الفاطمي، وكان قيام القاهرة المعزية التي وضعت خططها الاولى في شعبان سنة ٣٥٨، ونشأت القاهرة بادىء بدء مدينة ملكية فقط لتكون قاعدة للدولة الجديدة ومقرا للخلافة الفاطمية [1]، ونشأ جامعها الازهر الذي أسس بعد قيامها باشهر قلائل (جمادي الاولى سنة ٣٥٩هـ) مسجدا للامامة الجديدة فقط. ومضى زهاء نصف قرن قبل أن تغدو العاصمة الجديدة في شيء مما تميزت به بعد ذلك بين الامصار الاسلامية من عظمة وروعة وبهاء، وقبل أن يبدأ الجامع الأزهر تاريخه الادبي الباهر. ولكن ظل الفسطاط بعد ذلك عصورا تحتفظ بمكانتها الادبية، ولبثت حلقاتها ولياليها الادبية شهيرة بين أدباء الشرق والغرب. وبدأ الجامع الازهر ينافس المسجد الجامع في حلقاته ومجالسه الادبية منذ عهد الخليفة العزيز بالله، اذ استأذن وزيره الشهير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ ان ينظم بالازهر على نفقته بعض مجالس القراءة والفقه. وفي خاتمة القرن الرابع، في عهد الحاكم بأمر الله، انشئت دار الحكمة بالقاهرة ونظمت مجالسها، فكانت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية

ولسنا نتحدث عن القاهرة ومكانتها العلمية والادبية بين الامصار الاسلامية في العصور الوسطى، ولا عن أزهرها الذي غدا فيما بعد أعظم جامعة اسلامية، كذلك لسنا نتحدث عن دار الحكمة ومجالسها الشهيرة التي كانت تتخذها الخلافة الفاطمية اداة لتحقيق دعوات دينية فلسفية غامضة، فذلك ليس من موضوعنا. وانما نتتبع تاريخ الفسطاط الادبي، بعد قيام القاهرة، منافستها العظيمة الفتية

فقدت الفسطاط اهميتها السياسية والرسمية، ولكنها احتفظت عصورا أخرى بأهميتها الاجتماعية والادبية وفي فترات كثيرة كانت تتفوق على القاهرة بطابعها الادبي. وهذا ما يشيد به بعض أدباء الشرق والاندلس الوافدين على مصر في عصور مختلفة. ومن هؤلاء أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الاندلسي الذي وفد على مصر في أوائل القرن السادس الهجري [2] في عهد الافضل شاهنشاه. ودرس الحركة الفكرية والادبية في مصر بوجه وكتب عنها رسالة لم يصلنا سوى شذور قليلة منها. وفي هذه الشذور [3] يتحدث ابن أبي الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها، ومجالسهم واجتماعاتهم مما يدل على ان الفسطاط كانت ما تزال مركزا هاما للحركة العلمية والادبية ووفد ابن سعيد الاندلسي الى مصر بعد ذلك بنحو قرن، نحو سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠م)، ولبث بها أعواما طويلة يدرس شئونها واحوالها، فاذا بالفسطاط ما تزال تحتفظ باهميتها الادبية، واذا بها ما تزال مثوى للأدباء، ومركزا لأبهاء الادب، واذا لياليها الادبية ما تزال شهيرة. ويفرد ابن سعيد في كتابه «المغرب في حلى المغرب» فصلا كبيرا للفسطاط عنوانه: «كتاب الاغتباط في حلى الفسطاط» [4] يتحدث فيه عن المدينة، وزياراته لها واجتماعاته بادبائها، ولا سيما شاعرها الكبير جمال الدين أبي الحسن الجزار، أشهر شعراء مصر في هذا العصر، وملقيه من كرم وفادته وشهده من رائع أدبه، وقد كان الشاعر الكبير يومئذ، على ما يظهر شابا في عنفوان شاعريته لأنه توفي بعد ذلك بنحو أربعين سنة في (٦٧٩هـ ١٢٨٠ م) [5] وهو صاحب الارجوزة التاريخية الشهيرة المسماة «بالعقود الدرية في الامراء المصرية» وفيها يستعرض ذكر أمراء مصر وملوكها منذ عمرو بن العاص الى الملك الظاهر بيبرس [6]. وكانت

(١) راجع تاريخ القاهرة ونشأتها وتطوراتها، وتاريخ خططها في كتابي «مصر الاسلامية» و«تاريخ الخطط المصرية».

(٢) توفي امية بن ابي الصلت الاندلسي سنة ٥٢٩ هـ

(٣) توجد عدة صفحات مخطوطة من هذه الشذور، ذيل بها كتاب «أسمار سيبويه المصري» الذي سيقت الاشارة اليه (مخطوط معروض بدار الكتب رقم ٢٥٤ تاريخ). ومما يدل على ان هذه الشذور انما هي جزء من رسالة كتبها امية بن أبي الصلت عن مصر، هو اشارة ابن ابي اصيبعة اليها في كتاب منافع الاطباء (ج ٢ ص ١٠٦)، وكذلك اقتباس ابن القفطي منها في كتابه «اخبار الحكماء» (ص ١٢٧)

(٤) راجع هذا الكتاب في مجموعة الكتب التي يضمها كتاب «المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد الاندلسي. وهذه اربع مجلدات مخطوطة بدار الكتب هي الوحيدة منه. وليست متصلة ولا متناسقة، لانها جزء من الكتاب الاصلي فقط (رقم ٢٧١٢ تاريخ). وقد نشر المستشرق تاكهات منه قسما هو «كتاب العيون الدعج في حلى بني طغج»

(٥) راجع ترجمة جمال الدين الجزار في السيوطي — حسن المحاضرة — (ج ١ ص ٢٢٢). وقد اورد له ابن سعيد ايضا ترجمة في «المغرب» في المجلد الثاني من المخطوط الورقة ١٤١

(٦) نشرت هذه الارجوزة برمتها في حسن المحاضرة (ج ٢ ص ٤١)

الفسطاط قد عادت يومئذ فاستردت كثيرا من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الملكية الجديدة التي أنشأها الملك الصالح في جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط (سنة ٦٣٨هـ) واتخاذها قاعدة للسلطنة ، وانتقال البلاط والحاشية اليها ، وسكن كثير من الامراء والكبراء بالفسطاط في الضفة المقابلة لهم النيل ، وهو ما يشير اليه ابن سعيد في قوله ، « وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها الجزيرة الصالحية (جزيرة الروضة) ، وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تهيج الناظر »

ويشير ابن سعيد في كتابه السالف الذكر الى ليالي الفسطاط واجتماعاتها الثانية في الليالي القمرية ، وأشهرها ما كان يعقد في القرافة عند ضريح المقطم في قبة الامام الشافعي التي كانت قد أنشئت على قبره . وكان المسجد الجامع قد عفت أهميته شيئا فشيئا منذ قام منافسه القوي ، الجامع الازهر وغيره من المساجد والمدارس الجامعة بمدينة القاهرة ، ولكنا نراه ما يزال حتى القرن السابع مثوى للأدب واجتماعاته ، ورغم عفائه وقدمه ونسيان أمره ، كانت تعقد في عرصاته حلقات للقراءة والدرس ، وهو ما يشير اليه ابن سعيد أيضا خلال وصفه للمسجد الجامع في منتصف القرن السابع ، بيد ان هذه الحلقات لم تكن من الاهمية والرونق والانتظام بمثل ما كانت عليه في القرون الاولى يوم كان المسجد الجامع مجتمع الامراء واقطاب التفكير والادب . وكانت يومئذ أقرب الى الصفة المدرسية . ومع ذلك فقد بقي للمسجد الجامع حتى ذلك العصر كثير من ذكرياته الادبية المجيدة . وهي حكمة الادباء والشعراء ، يجتمعون فيه كما سنحت فرص الاجتماع لعقد الاسمار والمطارحات الادبية . واليك نموذجا لهذه الاجتماعات الشهيرة اورده ابن فضل العمري في موسوعته الكبيرة « مسالك الابصار في ممالك الامصار » في حديثه عن المسجد الجامع .

« حكى علي بن ظافر الازدي . قال : روى لي أن الاعز أبا الفتوح ابن قلاقس . وابن المنجم اجتمعا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون . وبرز في صفحة بحر النيل كالنون . ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب . فلما رأوا الشمس فوق النيل غاربة . والي مستقرها جارية ذاهبة . وقد شمرت للمغرب الذيل . واصفرت خوفا من هجمة الليل . والهلال في حمرة الشفق . كحاجب الشاعب أو زورق الورق . فاقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت الزيه . على البديه . فصنع ابن قلاقس :

انظر الى الشمس فوق النيل عارية
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وابقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء في الغرق
والهلال ، فهل والى ليقذفها
في أثرها زورق قد صيغ من ورق ؟

وصنع ابن المنجم :

يارب سامية في الجو فت بها ... أسد طرفي في أرض من الافق
حيث العشية في التمثيل ممركة ... اذا رآها جبان مات للفرق
شمس نهارية للغرب زاهية ... بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
والهلال انعطاف كالسنان بدا ... من سورة الطعن ملقى في دم الشفق

« وحكى علي بن ظافر أيضا ، قال : اخبرني ابن المنجم الصواف بما معناه : قال ، صعدت الى سطح الجامع بمصر في آخر رمضان مع جماعة فصادفت به الاديب الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك علي بن مفرج بن المنجم وشجاعا الفرنجي في جماعة من الادباء . فانضممت اليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم ان يعملا في صفة الحال . فكان ما صنعه نشو الملك :

وعشي كأنما الافق فيه ... لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـ ... ـس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا ... را فاعطى الرهين نصف سوار

وكان الذي صنعه ابن قلاقس :

لاتظن الظلام قد أخذ الشمـ ... ـس واعطي النهار هذا الهلالا
أنما الشرق اقرض الغرب دينـ ... ـارا فاعطاه رهنه خلخالا (١)

ونحن نعرف أن الشاعر المصري الاسكندري الاشهر ابن قلاقس كان من شعراء النصف الاخير من القرن السادس الهجري (٥٣٢ — ٦٠٧ هـ) وكذلك ابن المنجم من شعراء هذا العصر . واذن فقد كان المسجد الجامع ، حتى أوائل القرن السابع منتدى لأكابر الادباء والشعراء ، وكانت الفسطاط لا تزال شهيرة بلياليها وحلقاتها الادبية ، حتى بعد ذلك بنحو نصف قرن على نحو ما يشير اليه ابن سعيد الاندلسي .

***

ومنذ أواخر القرن السابع الهجري نرى الفسطاط تفقد اهميتها الاجتماعية والادبية شيئا فشيئا ، ونرى المسجد الجامع وقد غمره النسيان والعفاء . وقلما نظفر في سير القرن الثامن بما ينبيء عن مكانة الفسطاط أو أهميتها الاجتماعية أو الادبية . بل نرى الفسطاط في هذا العصر تنحى الى ناحية متواضعة لمدينة القاهرة . ونرى القاهرة تنمو بعظمتها وبهائها وأهميتها العلمية والادبية عاصمة الاسلام الاولى في مصر . ونراها مثوى كل حركة فكرية أو أدبية . ونرى الجامع الازهر كعبة العلماء والادباء لا في مصر وحدها بل في العالم الاسلامي كله ، على أن مؤرخ الآداب في مصر الاسلامية لا يسعه — حين يعالج تاريخ الآداب في عصور الاسلام الاولى الا أن يلاحظ أهمية الدور الكبير الذي أدته الفسطاط وحلقاتها ولياليها الادبية ، وأداء مسجدها الجامع في تطور الحركة الفكرية والادبية في مصر .

(١) مسالك الابصار ج ١ (طبع دار الكتب) ص ٢١٠ و ٢١١

من طرائف الشعر

نداء للشباب

كن قوياً ، كن عزيزاً

للدكتور محمد عوض محمد الاستاذ بالتجارة العليا

أعنو عليك قلوب الورى ... اذا دمع عينيك يوما جرى ؟
وهل ترحم الحمل المستضام ... ذئاب الفلا أو أسود الشرى ؟
وماذا ينال الضعيف الذليل ... سوى أن يحقر أو يزدرى ؟
لقد سمع النسر نوح الحمام ... فلم يعف عنها ولم يغفرا
بل انقض ظلما ليغتالها ... وأنشب في نحرها المنسرا
وما رد عنها الاذى ذلها ... ولا انها ماجنت منكرا
فكن يابس العود صلب القناة ... قوي المراس متين العرى !
ولا تطامن لبغي البغاة ... وكن كاسراً قبل أن تكسرا
وأولى لمن عاش مثل الثرى ... ذليلا لو احتل جوف الثرى
قلوب الأنام كصم الصفاة ... وشق على الصخر أن يفجرا
أرى أيدياً لاغتيال تمد ... فأجدر بها الآن أن تبترا !
اذا كنت ترجو كبار الامور ... فأعدد لها همة أكبرا !
طريق العلا أبداً للأمام ... فويحك هل ترجع القهقرى ؟
وكل البرية في يقظة ... فويل لمن يستطيب الكرى !

/

كن جميلا ترى الوجود جميلا

للاستاذ ايليا أبو ماضي

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا
ان شر الجناة في الأرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمي ... ان ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا
ليس اشقى ممن يرى العيش مرا ... ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس في الحياة أناس ... عللوها فاحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزولا
واذا ما أظل رأسك هم ... قصر البحث فيه كي لا يطولا
أدركت كنهها طيور الروابي ... فمن العار أن تظل جهولا
ماراها والحقل ملك سواها ... تحلت فيه سرحا ومقيلا
تتغني والصيف قد ملك الجو ... عليها والصائدون السبيلا
تتغنى وعمرها بعض عام ... أتبكي وقد تعيش طويلا
تتغنى وقد رأت بعضها يؤ ... خذ حياً والبعض يقضي قتيلا
فهي فوق الغصون في الفجر تتلو ... سور الوجد والهوى ترتيلا
وهي طورا على الثرى واقفات ... تلقط الحب أو تجر الذيولا
كلما أمسك الغصون نسيم ... صفقت للغصون حتى تميلا
فاذا ذهب الاصيل الروابي ... وقفت فوقها تناجي الاصيلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الا ... طيار عند الهجير ظلا ظليلا
وتعلم حب الطبيعة منها ... واترك القال للورى والقيلا
فالذي يتقي العواذل يلقى ... كل حين في كل شخص عذولا

***

أنت للأرض أولا وأخيراً ... كنت ملكا أو كنت عبداذليلا
كل نجم الى الافول ، ولكن ... آفة النجم ان يخاف الافولا
غاية الورد في الرياض ذبول ... كن حكيما واسبق اليه الذبولا
واذا ما وجدت في الارض ظلا ... فتفيأ به الى أن يحولا
وتوقع اذا السماء اكفهرت ... مطرا في السهول يحيي السهولا
قل لقوم يستنزفون المآقي ... هل شفيتم من البكاء غليلا
ما أتينا الى الحياة لنشقى ... فاريحوا أهل العقول العقولا
كل من يجمع الهموم عليه ... أخذته الهموم أخذاً وبيلا

***

كن هزارا في عشه يتغنى ... ومع الكل لا يبالي الكبولا
لا غرابا يطارد الدود في الارض ويوما في الليل يبكي الطلولا

***

كن غديرا يسير في الارض رقرا ... فا فيسق عن جانبيه الحقولا
تستحم النجوم فيه ، ويلقى ... كل شخص وكل شيء مثيلا
لا وعاء يقيد الماء حتى ... تستحيل المياه فيه وحولا

***

كن مع الفجر نسمة توسع الأز ... هار شما ونارة تقبيلا
لا سموما من السوافي اللواتي ... عملأ الارض في الظلام عويلا
ومع الليل كوكبا يؤنس النا ... بات والنهر والربى والسهولا
لا دجى يكره العوالم والنا ... س فيلقى على الجميع سدولا

***

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كن جميلا ترى الوجود جميلا

في الأدب الشرقي

الادب الفارسي والادب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأستاذ بكلية الآداب

— ١ —

أمة ذات حضارة فاتت التاريخ اوليتها ، ونظم أمرتها الحقب الطويلة يقوم عليها ملوك مسلطون رفعوا الى مستوى فوق البشر أقدامهم ، وأثر لهم بهذا رعاياهم ، وقد طار صيتهم فى الآفاق فملأ جبروتهم رهبة واكبارا . أمة ذات دين نصر للملوك ونصروه فاشتد توامه على كل مخالف وارهبوا كل متبوع . نزلت هذه الأمة أرضا وسطا بين مهد الآريين والساميين يجاورها فى الغرب بابل وأشور ، ويصاقبها فى الشرق الهند . ثم يتصل بها من الشمال والشمال الشرقى الترك والصين . فاض بها سلطانها حتى غزت اليونان فى عقر دارهم ، وغزت كثيرا من أوروبا الشرقية الجنوبية . وملكت الشام وفلسطين ومصر . وكانت الحرب من بعد سجالا بينها وبين الروم . كانت بلادها طريقا للتجارة بين الشرق والغرب . وموصلا بين حضارتيهما . وكانت موئلا للفلسفة اليونانية . وملجأ للهاربين من فلاسفة اليونان . تلكم أمة الفرس التى يقول فيها متنبيهم :

قومى استولوا على الدهر فى ... ومشوا فوق رءوس الحقب !
عمموا بالشمس هاماتهم ... وبنوا أبياتهم بالشهب !

وأخرى من الأمم عريقة فى البداوة وأبية على كل عسف ، حديثة عهد بالخضوع حتى لسلطان الله ، أنضجتها البداوة فاذا هى قوية نشيطة ذكية متوقدة ، وأورثتها معيشتها وحروبها ضروبا من العزة والشجاعة والفروسية والصبر على المكاره ، والقناعة بالقليل ، وجمع كلها وأثار قلوبها الدين ، وتلكم هى أمة العرب .

— ٢ —

بينما كان الاسلام يجمع شمل العرب كان الفرس مسيطرين على عرب الحيرة يتخذونهم عونا على الاعراب ، وعلى الرومان — كما كان الرومان يستعينون بالغساسنة بالشام — وكان الفرس كذلك مسيطرين فى اليمن والبحرين . وقد أعظم العرب شأنهم فهابوهم وسموهم الاسد ، وسموا قبائل ربيعة التى كانت تجاور الفرس وتأبى عليهم أحيانا — ربيعة الاسد من أجل ذلك — وعرفوا من أخبارهم وعاداتهم ما جعلوه مضرب المثل ، وعرفوا كذلك دينهم حتى يقال إن من بنى تميم من كان يعبد النار . وفى ذكر القرآن للمجوس كثيرا دلالة على هذا .

فلما استقام للعرب أمرهم خلص اليمن بغير عناء وأسلم الفرس هناك ، حتى قاتلوا مع المسلمين الاسود العنسي المتنبىء ، وكذلك أجل عامل كسرى على البحرين أيام أبى بكر ، وأسلم هناك من أسلم ودفع الجزية من بقى على دينه . ثم عادي المسلمين الفتح فاذا هم يقاتلون فى جهات العراق عربا وفرسا قد تخالطوا حتى لم يتميز بعضهم من بعض وحتى كان العرب بدأ مع الفرس على العرب إبان الفتح فخالد بن الوليد يقول لأهل الحيرة : أعرب أنتم فما تفضلون من العرب ؟ فيحتجون لعربيتهم بأنهم ليس لهم لسان غير العربية ، تتلمل للمسلمون فى فتح بعد آخر ، سلماً وحرباً فاذا هم يتنازلون الاكاسرة أنفسهم ، وأيقن الفرس أن الامر جد لا هزل ، وكان قد اجتمع امرهم بعد الفرقة ليزدجرد الساس فساقوا على العرب جيشاً حشدوا فيه من عدد الحرب وجندها مالا عهد للعرب به ، ولم يكن بد للعرب من المقاومة فاستجندوا الخليفة عمر فأهمته حرب فارس ، وندب الناس اليها فتثاقلوا اعظاما لأمر الفرس واستفز عمر العصبية العربية ؛ ورضى أن يدعى الى الحرب مسلمهم وغير مسلمهم . وقد اهتم الفرس بأمر القادسية أيما اهتمام ، وارتقب العرب عقباها من العذيب الى عدن أبين ومن الابلة الى ايلة — كما يقول الطبرى

وكانت القادسية أول موقعة عظيمة حشدها الجمعان ما استطاعوا ، ولكنها لم تكن أعظم الوقائع ولا آخرها فموقعة نهاوند التي سماها العرب فتح الفتوح ، وهى آخر الوقائع العظيمة ، كانت بعد القادسية بسبع سنين ، وبينهما وقائع ، وكان ملك الفرس يزدجرد ، لا يزال يكر على العرب فى الحين بعد الحين ، ويستمد الترك وقد تعقبه العرب الى أقصى الشرق ، واستمر على ذلك حتى سنة ٣١ . سبعة عشر عاما بعد القادسية فبينا يتهيأ لصلح العرب على بعض الاقاليم تتله بعض اتباعه كما قتل دارا من قبل . وبينا يتعقبه الاسكندر المقدوني . وبذلك تم للعرب الاستيلاء على فارس رغم الثورات التى كانت تظهر فى الحين بعد الحين الا جهات فى طبرستان وجيلان لم تفتح الا بعد قرنين وبقى بعد ذلك امراء فى جهات نائية قرونا طويلة .

— ٣ —

فتح العرب الاقطار باسم الدين فلم يكن الا أن يسلم الفارسى فاذا هو واحد من المسلمين الفاتحين ، ثم كان حكمهم على رغم مصائب الحروب ونظائمها عدلا لا عنف فيه . وكان فى الفرس على هذا من وجدوا فى الفتح الاسلامي مخلصا من اضطهاد دينى ، فقد كانت الزردشتية شديدة على من شذ عنها ، أو وسيلة الى جده ...

فالديلم من جند الفرس انحازوا للمسلمين (بعد القادسية وأسلموا) وعاونوا فى واقعة جلولاء ، ثم استوطنوا الكوفة . ونجد من الفرس مثل (ابى الفرخان) الذى عاون العرب فى فتح الرى فولى عليها . ونجد مرزبان مرو يخذل يزدجرد ويرسل أمواله بعد ان قتل الى أمير العرب هناك .

وقد أعطى العرب الفرس الذين قاتلوا معهم حظهم من الغنائم وفرض عمر فى العطاء لمثل المرزبان فى المدينة وأحسن العرب الى الفلاحين الذين لم يقاتلوا . ويقول الطبرى (عن أهل فارس) وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ماكانوا فى زمن الاكاسرة فكانوا كانما هم فى ملكهم الا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا. وقد بقى الفرس أحراراً فى دينهم وبقيت معابد النار فى الجهات كلها ولا سيما فى فارس . فقد حكى المؤرخون كالاصطخرى وابن حوقل انه لاتوجد قرية فى فارس بغير معبد للنار ، وان جمهور أهلها من عبدة النار وانهم فى شيراز لا يمتازون من المسلمين فى مظاهرهم وكانت معابد النار تحمى ويساقب مخربوها .

وانما تناقص عدد الزرادشتيين بدخول كثيرمنهم فى الاسلام ، وقد دخلوا فيه أفواجا حتى شكا عامل خراسان الى عمر بن عبد العزيز قلة الجزية فأرسل اليه ان الله بعث محمدا صلعم هاديا ولم يبعثه جابيا . على انهم بقوا كثيرين الى عصر قريب . ويقول Khonikof أن كرمان حين حاصرها محمد خان قاجار كان فيها ١٢ الف أسرة زردشتية

انما انبيض فى هذا الأبق أن العرب والفرس بعد الفتح لم يكونوا فى نضال مستمر . وان العرب لم يستعبدوا الفرس كما يحسب بعض الناس . لم يفعل العرب الا ان حطموا الحدود الوطنية فشاركوا الفرس فى جماعة اوسع . ونالوا من العلوم والآداب التى تعاونت عليها الامم الاسلامية ، ونالوا عليا المناصب . فالبرامكة مثلا كانوا يديرون للعباسيين ملكا أعظم وأوسع مما كان يديره بزرجمهر لانو شروان .

— ٤ —

الآداب الفارسية الحديثة تؤرخ من القرن الرابع الهجري (تقريباً) — كما يأتى — فماذا أصاب اللغة الفارسية فى ثلاثة القرون التى تلت الفتح الاسلامى ؟ وماذا أصاب الفرس فى هذه القرون ؟

فى اجابة هذين السؤالين يجب أن نفرق تفريقاً تاماً بين الكلام على الفرس ، والكلام على اللغة الفارسية .

فاما اللغة الفارسية فالكلام عنها من جهتين : من حيث انها لغة تخاطب ومن حيث انها لغة القلم والأدب . فاما من الوجهة العلمية فقد وقفت اللغة وقفة طويلة ، ولم يؤلف فيها الا كتب قليلة معظمها فى الدين ، ويمكن ان يقال انها عقمت تماماً بعد قرنين من ظهور الاسلام ، فالكتب التى ألفت فى العصر الاسلامى وبقيت على الزمن لاتتجاوز عصر المأمون ، وهى كتب دينية قليلة أرادبها الزردشتيون الدفاع عن دينهم والابقاء عليه — ولكن كان للغة الفهلوية عمل اعظم من هذا وأبقى أثراً هو حفظها آداب الساسانيين . وتاريخهم فى كتبها لتكون مصدراً للترجمة الى اللغة العربية ، ولتكون من بعد أساساً للآداب الفارسية الحديثة فقد بذل رجال الدين أو الموابذة وملاك الأراضى أى الدهاقين جهدهم فى حفظ كتبهم ، وكان الساسانيون من قبل ذوى عناية بالكتب وحفظها . ويمتاز اقليمان فى ايران بأن كانا موئل الآثار الفارسية : فارس وخراسان — كما امتازت طبرستان بوعورة ارضها وكثرة غاباتها فبقى فيها استقلال الفرس مدة طويلة — فاما خراسان فكانت مبعث الشعر الفارسى الحديث ، واما فارس مهد الدول الفارسية القديمة فقد لاذ بجبالها جماعات من الزردشتيين . فمكنوا على درس آدابهم القديمة وحفظ كتبها فحصن شيز فى جهة ارجان كان مسكن عجوس خبراء بايران وتاريخها . وكان به صور الملوك والعظماء وتاريخهم ، هكذا يقول الاصطخرى وابن حوقل ، ويؤيد هذا مايقوله المسعودي : انه رأى فى اصطخر عند اسرة فارسية كبيرة كتاب الملوك يتضمن صور الملوك وأزمنتهم ووصف آثارهم . ويتصل بهذا ماورواه صاحب الفهرست عن أبى معشر ان الفرس القدماء خزنوا كثيرا من كتبهم فى اصفهان فى بناء عظيم بقى الى زمان ابى معشر ، وان الناس عثروا على كتب فيه ، ثم يقول ابن النديم « اخبرنى الثقة أنه انهار سنة ٣٥٠ أزج آخر عن كتب كثيرة لايهتدي الى قرامتها . والذى رأيته أنا بالشاهدة ان أبا الفضل ابن العميد أرسل هاهنا فى سنة نيف وأربعين كتباً متقطعة أصيبت باصفهان فى سور المدينة وكانت باليونانية ألخ

ففى أثناء حصن شيز وبناء اصفهان حفظت الكتب القديمة التى ترجمت الى العربية أيام الدولة العباسيه .

« لها بقية »

« بقية المنشور على صفحة ١٣ »

ياشبان الشرق — هأنتم أولاء تطالعكم قوى التجديد من حيث تحسون عناصر الخود ؛ وهاهو ذا الاسلام الدين الحى يدعوكم دعوة الى مسايرة نواميس الكون ؛ ومجاراة نظم الجماعات الانسانية ؛ وهذا تاريخكم المجيد يغذى حاضركم الحديث فلا عذر اليوم لكم اذا لم تمشوا تلك العزمات لتسمع الدهر صوتاً طالما أصغى اليه أزماننا وحدثا له فسار ؛ ومضى حيث صرف واحكم فيه

يا شباب مصر : هاكم ماضيا مجيدا فى السيادة والزعامة ، لم يدع ميدانا الا حلبه وها هي ذى مصركم مملكة الدنيا قد آلت اليكم لواء هذه الزعامة وقد بايعها الشرق وعرف مكانها وعاندها الغرب وجحد حقها . والحياة العاملة اليوم انما تكتب للامة الصناع والشعب الدءوب فلابد أن تتصدر مصركم ماتصدرت من سائر الميادين قديما وسيبقى ثبات شبابها بمشروعهم العملى صروحا سامقة من القوة المادية تشهد أن الدين هو أسلافهم كيف عمروا الفلسفة وبحروا العلم وذودوا عن الاديان يحرثون هم جيدا كيف يؤسسون الصناعة على أساس أبقى على الدهر من الدهر

في الأدب الغربي

حزن أولمبيو

لبلكنوه فورمير

ترجمة ابن عبد الملك

لم تكن الحقول غبراء ، ولا السماء كدراء حين أقبل يقضي ذمام هذه الربوع التي سال في ثراها قلبه الجريح المتحن وانما كان ضوء النهار يتألق في أفق لازوردي غير محدود ، ويتدفق على بساط من أديم الارض ممدود . وكانت النسائم عابقة بالعطور ، والروح حافلة بالحضرة والزهور .

***

وكان الخريف طلق الجوانب ، والسماء مذهبة الحواشي ، والربى حانية الحمائل الونقة على السهل وقد ضربت في حضرتها صفرة قليلة .

والطيور هاتفة بأغاريدها الشجية القدسية ووجوهها الى الله التي يم عليه كل كائن ، ويسبح بحمده كل شيء ، كأنما كانت تقول له شيئا عن الانسان !!

***

أراد الولهان أن يرى كل شيء : يرى الغدير الطامي الذي يصطفق بجانب العين ، والظل البالي الذي استنفد ما في كيسها بالصدقة ، وسرحة الدوادر العنيفة الموجة وخلوات الحب في أجواف الغاب الغرامية ، والشجرة التي استغرقا نحتها في القبلات فذهلا عن كل شيء .

***

بحث عن الحديقة والبيت المنزل والبستان الحادر ، والدرازون الذي يغيب البصر من خلاله في تمشي منحرف . وكان يمشي مكسور الوجه من الحزن ، شاحب اللون كثير الهم فيرى والأسقام لدى كل شجرة شبح الايام الخوالي يقوم منتصبا على وقع خطاه المتئدة الثقيلة ! .

***

تجول طوله النهار على طول المسيل وقد ملك اعجابه وجه السماء الضاحك ، ومرآة البحيرة المصقولة .

ثم قيد بصره ما راعه من صور الطبيعة في الحقول ، فتأملها مليا ثم ذهب مع أحلامه حتى المساء .

تجول طيلة النهار ذاكرا والهفي عليه بخاطره الشديدة ناظرا من اعالي السوج دون أن يجرؤ على الولوج كأنه سلوك من مسالك المندر.

فلما أدنت الشمس بالمغيب احس في صدره وحشة القبر وفي قلبه لوعة الهم ، فجأر بالشكوى وهتف بالهوى يقول :

***

أيها الالم ! لقد اردت انا المشترك الخاطر السمور الفؤاد ان أعلم هل الاناء لا يزال محتفظا بالسائل ؟ وان أري ماذا فعل هذا الوادي السعيد بما خلفت فيه من قلبي ؟ .

ما اقدر الزمن اليسير على ان يغير كل شيء !

ايه ايتها الطبيعة ذات الوجه الضاحك والجبين الاغر ! ما اسرع ماتنسين ! وما أشد ما تقطعين العلائق الخفية التي تربط قلوبنا بكثرة استحالاتك وتغير حالاتك ! .

***

ان غرفنا التي اتخذناها من ورق الشجر الألف قد تهدمت .

والشجرة التي حفرنا عليها اسمينا قد ماتت أو تحطمت

ووودنا النابتة في الحظيرة قد عبثت بها ايدي الاطفال الذين يقفزون فوق الحفرة!

والعين التي كانت تشرب منها ساعة القيظ وهي هابطة من الغاب قد قام على موردها جدار ! !

لله ما كان أجمل يدها حين كانت تغترف بها الماء ثم تدعه يتساقط من خلال أصابعها كثير اللؤلؤ الرطب ! !

***

لقد رصفوا الطريق الغليظ الوعر الذي كنا نسير فيه جنبا الى جنب فترتسم على رمله التي قدمانا ، ويكون أثر قدميك الرقيقة الانيقة بجانب قدمي سخرية حسناء ، وضحكة استهزاء ! !

***

والحاجز الحجري الذي قام على حد الطريق حقيقة طويلة ذلك الحاجز الذي كان يحلو لها أن تجلس فوقه في انتظاري قد هد ركنه اصطدام العجلات الموقرة بالاعباء ، وهي آيلة تئن في الماء ! !

***

والغابة أصبحت حطاما هنا وبقيت أدواحها هناك ! ولم يكد يبقى من كل ما حملناه وتقمصناه شيء حي !

وأكمام الذكريات تبددها الرياح الأربع كحكومة من التراب الجامد البارد قد ألوت بها الريح الدبور ! !

واويلتاه ! ألم يعد لنا اذن وجود ؟ هل مضت مدتنا وانقضت تنا ؟ أما يرجعها الى صرخاتنا الضارعة الضائعة شيء ؟

النسيم يداعب الغصون وأنا أبكي ! ومن لي ينظر الي ولا يعرفني!

* * *

والآن سيمر غيرنا من حيث مررنا ، وسيرد آخرون هذا ورد الذي عنه صدرنا ، والحلم الذي بدأناه سيواصلون رؤياه ، ولكنهم لنا لا يستطيعون أن يبلغوا مداه !

* * *

وذلك لأن الناس في هذه الحياة لا يتممون ولا يكملون ، سواء في ذلك لخيرون والطيبون

وسيستيقظون جميعا في مكان واحد من الحلم ، اذ كلهم يبدأون هذا العالم ثم يتممون في غيره

* * *

أجل ستأتي نوبة آخرين ، فينعمون في ظلال هذا المكان الساكن من الفاتن بما وهبت الطبيعة للحب من خيال وجلال ولذة !

* * *

وسيرث غيرنا حقولنا وطرقاتنا وخلواتنا ، ويستولي من لا نعرفين على غابتك يا حبيبتي ! ويقبل بعض النسوة الهوج الى هذا الماء يتردد ، فيكدرن غمره الذي لمسته قدماك العاريتان فتقدس !

* * *

يالله ! اذن ذهب الحب الذي أحببناه في هذا المكان باطلا ! ولم يق لنا شيء من هذه الربوات المزهرة التي امتزج فيها لهبانا فانصهر ما جسمانا واتحد قلبانا

هيهات قد استرجعته الطبيعة التي لا ترحم ولا تألم !

* * *

بالله يثنى ايتها المسايل المرعة ، والجداول المترعة ، والعرائش زقرة بالعناقيد ، والاغصان المثقلة بالاعشاش والاغاريد ! وخبرني يا المقار والآجام والادغال ! هل تطربن قلباً غير قلبنا بهذه الاغاني ، ناغين حباً غير حبنا بهذه الاناشيد ؟

* * *

لقد كنا نعرك مرامي كلامك ، ونجمل مشاعرنا كلها اصداء جم انغامك ، ونرهف اسماعنا لالتقاط ما يدر احياناً من بليغ مرك . دون أن نميط الحجاب عن خبيئة سرك !

* * *

ايتها الطبيعة المجلوة في هذا الخلاء الجميل !

متى رقدت انا وهي تحت صفائح القبر فهل تظلين جامدة أمام تنا وموت حبنا ، تواليين حفلاتك واعيادك ، وتواصلين بهاتك نشادك ؟

الا تقولين لطيفنا اذا ما رأيتهما يجولان بين رباك وخلواتك ، وفيا الفا من جبالك وغاباتك ، ما يقوله جميع الاصدقاء لاخوانهم الفدماء من سرائر القلب ومجاوى الضمير ؟

* * *

هل تستطيعين أن ترى دون أن يلوعك الحزن ويرمضك الاسى شبحينا يطوفان بمواقع خطواتنا ، ومواضع خلواتنا ، وان تريها تعودين في عناق مكذب الى ينبوع منتحب يئن في خفوت وهمس ؟

* * *

واذا مالجأ عاشقان الى جوارك ، واختفيا عن العوازل تحت ستارك ، وخبآ سرورهما بين ازهارك ، فهل تسرين اليهما هذه الكلمة :

« أيها الراتعان في رياض الحياة ! اذكرا من طوح بهما الدهر في قفار الموت ! »

* * *

لعمرك ماهذه الروح والعيون والغابات والسموات والبحيرات والسهول والحزون الا عارة مستردة ! يعيرنا الله اياها لحظة من الزمن نضع فيها تلوينا وأحلامنا وغرامنا ثم يستردها .

* * *

ثم يعافى بعد ذلك سراجنا ، ويدفن في حلك الليل شعاعنا . ثم يوحى الى الوادي الذي انطبعت فيه صورنا ونفوسنا أن يطمس آثارنا ، ويمحو أصداءنا وأخبارنا .

* * *

لا بأس ! أنسينا أيتها الدار ! واكرينا أيتها الحديقة ! ولا تذكرينا ياظلال ! واخلي عتبتنا ياعشب ! وغط آثار قدمينا ياوسج ! وغردي أيتها الطيور ! وتدفقي أيتها الجداول . وتكاثري أيتها الأوراق . فان الدين طويتم صحيفة ذكرها لا ينسيان !

وكيف تنسى وأنتم خيال الحب نفسه ! أنتم الراحة التي يلاقيها المسافر في وقدة الصحراء ، والحلوة العظمى التي بكينا بها أحر بكاء ، وكل منا يده في يد الآخر !

* * *

كل الاهواء تمضي مع العمر . بعضها يحمل نقابه وبعضها يحمل مديته كدير النحل [1] يسافر جذلان شاديا وجماعته تضمحل وتقل وراء الاكمة .

* * *

الا اباك أيها الحب فلا شيء يمحوك ! انت السحر وانت الفتنة ! وسواء أكنت متسالا بدويا أم مصباحا حضريا فأنت الذي تشرق في العيون وبين الضلوع ، وتستولي علينا بالبسمات وخاصة بالدموع ! ان الناس في الشباب يلعنونك ، ولكنهم في الشيب يعبدونك !

(١) دير النحل الهوائم

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الشهير رنيه

— ٢ —

— ١ —

أيها الشعر[1] أيها الكنز . ياجوهرة العقل . ان عواصف القلب كزوابع البحر لن تستطيع أن تمزق رداءك المتعدد الصبغة عن أن يجمع ألوانه ، لكن ما ان يراك السوقة وانت تلمع فوق جبهة نبيلة حتى تضطرب حواسهم لبريق سنائك الكامل في أعينهم ، الغامض على افهامهم ، فتطلق ألسنتهم بالنيل منك وقلوبهم تكاد تخلع من الحلق .

— ٢ —

انما يغشى حماسة الالهام[2] ضعاف النفوس . أولئك الذين لا يقوون على الاستقلال بعبئه والصبر على لظاه . وفيم تكبه[3] والحياة تضاعفها نيران العاطفة ولكم من قبس الاهى تصيبنا ناره من حين الى حين . تلك هي الشمس وهو الحب وهي الحياة ومع ذلك فهل من أحد يود ان تنطفيء نارها . اننا نمزح بها ونحن ساخطون عليها .

— ٣ —

— لقد استحقت إلهة الشعر[4] ابتسامات التهكم وأمارات الاستهتار التي يستثيرها مرآها منذ أن اتجهت ببصرها الى العاهرين فاضطرب مقالها ونزل صدقها منزل الشك وحرم عليها ان تلم الحكمة وأصبحت اليوم اذا صاحت بجابري الطريق ان أفسحوا أفسح لها السائر في غير هيبة ولا احترام

— ٤ —

يالك من فتاة لاعفة لها . ياليتك صنت وقارك ياسليلة ارفيوس . اذا ما كنت تذهبين الي حيث لا يليق بك الى الشوارع وملتقى الطرق تنشدين الاغاني بصوتك المختنق المتهدج . اذا ما كنت تلصقين بجانب فمك باقة الشعر اللاذعة كالذبابة ، وبجانب عينك الزرقاء معنى الرمز المستتر .

---

(١) في هذا الجزء من القصيدة يتكلم الشاعر عن الشعر ويتطرق الى هجاء المجالس النيابية وهو في ذلك ربما كان متأثرا بسقوطه المزدوج في الانتخابات كما أنه يحقد على الاسرتين ويهجو عندما تركا الشعر احتقارا لامره ليندمجا في سلك السياسة . يتخذ الشاعر جانب الشعر ليدافع عنه مبارزا بينه وبين الخطب السياسية التي تفنى بفناء ساعة القائها .

(٢) يقصد بحماسة الالهام حماسة الشعر .

(٣) أي تمكث الالهام أي الشعر .

(٤) وضعا آلهة الشعر ونحن نقول في الحقيقة أن نقل كلمة الميز Muse كما هي لان هذا اللفظ من جهة شبه أعمى ومن جهة أخرى متصل وله تحول تاريخي لايؤديه قولنا آلهة الشعر وما علينا الا نقله عن اليونان كما نقله غيرنا من الأمم .

— ٥ —

لقد سقطت منذ حداثتك . لقي اليونان اسكرك عجوز[5] بقبلته وكان أول من خلع عنك ثوب كهنوتك ثم أجلسك على فخذيه بين جماعة الشبان ، ولايزال على جبينك آثار من عض قبلاته ! ولي ولائم هوراس كنت تغنين وأنت تتمايلين بالشراب ، وجاء فولتير فقادك الى البلاط تحت أبصارنا جميعا .

— ٦ —

يالك من قسيسة[6] خبت نارها . هاهم أعظم الناس خطرا لايضعون على جباههم من تاجك الا بعضه . هاهم تقف أقدامهم وكأنما يتعثرون في خطاياك حتى أنه لمن الاهانة لاحدهم الايكون الا شاعرا . ينثرون أفكارهم مع رياح المنصة فتدور بها عياء كالقدر ثم تحملها الى غير مستقر .

— ٧ —

متكبرون متعالون في مواقفهم الكاذبة وان مادت الارض تحت أقدام أولئك التريبون[7] خطيبهم الفانيه تتملق الجماهير التي تلتف حولهم وتصفق لعباراتهم ولتلك الجماهير الذين يتجددون باستمرار في هذه المشارب الضيقة . هؤلاء النظارة لايحملون لأولئك الممثلين السياسيين الا ازهارا لا رائحة لها وما لها من غد في أغلب الأحيان .

— ٨ —

انفهم تحدم جدران صالتهم حيث يقومون بألعابهم الكاذبة والشعب يسمع عن بعد ضوضاء مجادلاتهم ولكنه لاينظر الى تلك الالعاب الا كما ينظر أبناؤه ونساؤه مضطرين الى ذلك الحدث العجب . آلة البخار ذات المائة ذراع .

— ٩ —

تري الفلاح للمتم يسخط عند ما يوقف محراثه ويترك فلاحته لينتخب ومع ذلك هاهو أحد محامي اليوم قد استقر في أعماق نفسه احتقار ما تصبه الجماهير . ذلك المحامي الذي يشك في خلود النفس

---

(٥) يقصد به الشاعر هوميروس .

(٦) اللفظ الفرنسي Vestale واللاتينية Vestales وهو مشتق من Vesta الهة النار عند الرومان فال Vestala هي قسة بتلك الالهة وكان أولئك القسيات يخترن من بين الاطفال الذين لا يقل سنهم عن السادسة ولا يزيد عن العاشرة وتوكل اليهن طول حياتهن حماية النار المقدسة في كل هاتة فاذا انطفأت منها النار جلدوها وان خانت عفتها اعدموها ولا شك ان لفظ قسة لايحمل هذه المعاني كلفظ Vestala الذي له أصل اشتقاق معروف كما له معنى تاريخي .

(٧) يشبه الشاعر تراب فرنسا « بالتريبون الروماني » من حيث ان كلا يمثل الشعب وقسي شاعرنا معروف بكرهه للحكم النيابي وهو استبدادي لاصل أو من الاشراف يفضل دائما الحكم الملكي ويدافع عن حقوق الملوك كما يظهر ذلك بوضوح في قصيدته النبوءات Les Oracles حيث يشبه المستبدين بالزمال التي تنهار تحت من يتكىء عليها .

بين الكاس والطاس

بقلم الدكتور احمد زكى

أستاذ الكيمياء بكلية العلوم

الخمر قديمة كالانسان ، خلقها من خلق الهم ، وأبدعها من أبدع الحس ، وأرادها أن تبقى على الدهور والاحقاب من أراد ألا يكون الكون خيرا كله ولا شراً كله

الخمر لا وطن لها لأن الأرض وطنها ، عرفها المصرى والفينيقى ، والاغريق والرومانى ، ويعرفها التركى والالمانى ، والفرنسى والامريكى ، والخمر لا دين لها فقد اعتنقت جميع الاديان ؛ عصرها كهان المجوس ، وباركها أحبار اليهود ، واتخذها يسوع رمزاً لدمه فمنقها من بعده القسيسون والرهبان ، وحرمها الاسلام فاستحلها الخلفاء لما صارت الخلافة ملكا عضوضا . لم يحل لهم أنس الأبها ولم يطب نغم الا عليها ولا لذ غزل الا فى دبيبها ونشوتها

والخمر لا مدنية لها فقد عرفها كل المدنيات ، عرفها إبان اشراقها ونشأتها وازدادت بها علماوهى فى كبد سمائها وأوج صولتها ، ثم غربت على الاكثر فيها كما تغرب الشمس فى لجة البحر المحيط . كذلك شربها المدنى فى كؤوس من ذهب بين عمد المرمر وعلى رنين القيثار ، وشربها الوحشى حيث لا كأس غير صحاف القرع ولا عمد غير غاب النيل ، ولا رنين غير زمر القصب وقرع الطبول

وجاءت المدنية الحاضرة بعلمها وعددها ، وبطبها وأحصنتها وبتجاربها فى الافراد وتجاربها فى الجماهير ، وخرجت على أن لعنة الناس فى الخمر وخسرهم فى ذوب الرحيق . وتكونت فى كل أمة أمة تدعو الى السبيل الجديدة وتبشر بالرسالة الجديدة باسم العلم وباسم الاقتصاد فى قوى العمال لزيادة الانتاج . وزادت الدعاية حتى أن أمة من أكبر الأمم عددها واكثرها عدة وأحدثها حضارة صوت ناخبوها بتحريم الخمر ، فصدر القانون بطلاق بنت الحان ، فأغلقت الخامر واهدرت الدنان ، وحاطوا امريكا بسياج ثقيل من عسس يمنع الداء أن يدخل ، والداء بالجسم دفين ، والجسم قد يستل من جرثومة تنزوه ولكن أكثر علته من جرثومة للموت ولدت فيه . وماهى الا سنة فأخرى حتى سالت الخمر فى امريكا سيلان للماء فيها ، سدت عليها منافذ الماء ، ومهابط السماء ، فتفجرت كالزيت من منابع فى أرضها ، فى عقور ديارها ، فسبها الناس اغتراقا ، وعبها رجال القانون معهم ؛ ومتى أبطل مداد الاوراق ماجرى به مداد الاعراق ؟ ولما أصبح القانون ، ذلك الشيخ الوقور المهاب ، يصفع فى السر أقل ويصفع فى الجهر أكثر جاء متخبوهم منذ اسابيع فرحوا الشيخ فنقروه ، وهكذا عادت الخمر الشيخة تتهادى الى عرشها ، فلما استقرت فيه نظرت للانسان فابتسمت وكان من ورائها الاجيال فابتسمن أيضا

وبعد فما الخمر الا الكحول ، وهو ماء ولا ماء ، ماء فى مظهره ونار فى مخبره ، وقد اتخذ أشكالا عدة ، وأسماء عدة فأسموه البيرة وأسموه النبيذ وأسموه الوسكى وكل هذه تحويه ان قليلا أو كثيرا وهى تفقد أسماءها بفقده ، ومن السخف ما يباع أحيانا بانه بيرة لا كحول فيها . والبيرة تنتج من تخمير الشعير وبها ما بين ٤ الى ١٠ فى المائة من الكحول ومقدار لا بأس به من أجسام صلبة ذائبة شبه الكر تنتج من تحلل النشاء الذى كان بالشعير . والبيرة المتادة لونها أصفر وطعمها مر بسبب عشب يضاف اليها . والنبيذ ينتج من تخمير عصير العنب وبه ما بين ٦ الى ٨ فى المائة من الكحول ولونه أحمر ويتعاطاه الكثير من الفرنجة على الطعام كما يتعاطون الماء . وهناك نوع آخر من النبيذ ويسمى البرط وبه ما بين ١٥ الى ٢٠ فى المائة . وبالانبذة غير الكحول مواد سكرية وحوامض كحامض الطرطير تعطيها طعما لذاعا . أما حسن طعمها وطيب ريحها اللذان يشيد بهما الشعراء فيرجعان على الاكثر الى اتحادات بين ما بالانبذة من حوامض وما بها من كحولات اذ (تأستر) هذه بتلك فتنتج مايشبه الزيوت العطرية طعما وطيبا . ويزيد هذا (التأستر) على الزمن ، لذلك تختزن الخمر فلا ترى الشمس أحقابا طوالا قال ابو نواس يتمدحها

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم مائلة ثم قصت قصه الأمم

وأما الشمبانيا فهى أخت النبيذ ، فأبوهما الكرم ، الا أن لونها اصفر ، ويرجع هذا الى أنهم يعصرون العنب سريعا فلا يمهلون الصبغة التى بقشرته أن تجرى فى العصير فتخمره ، وغير هذا فانهم يختزنون هذا العصير فى الدن تخمره فى زجاجات مقفلة سنتين وثلاثا فينحبس بها غاز الكربون الناشىء من التخمر تحت ضغط كبير ، فلما تفور الشمبانيا عند فتحها ، ولما كان طعمها حريفا كالكازوزة بسبب هذا

النار ومقدار الكحول الذي بها كالذي بالنبيذ تقريبا

ويوجد عدا هذه من الاشربة الروحية أنواع لا حصر لها يختلف مقدار الكحول الذي بها اختلافا كبيرا ، ومن ذلك الوسكي ويحضر من تخمير الحبوب ثم تقطيرها ، والكونياك ويحضر بتقطير النبيذ ولذلك ترتفع نسبة الكحول بكليهما الى ٣٠ و ٦٠ في المائة . ومن الناس من يتخذ من كحول الحريق شرابا وهو يحتوي نحوا من ٩٠ في المائة من الكحول الخالص ويضيفون اليه أصباغا وزيوتا تجعله غير سائغ في الحلق ، ولكن حلوق الجهال من الفقراء يسوغ فيها كل كريه مرير

ويشرب المرء الخمر كائنة ما كانت فتمتص المعدة فالامعاء الكحول الذي بها امتصاصا سريعا فيذهب الى الدم ثم الى كل غشاء حتى أغشية الجسم فيحترق فيها الى غاز الكربون والماء احتراقا سريعا كذلك ، ولا تبقى منه بالجسم بقية ، فهو ليس بطعام بالمعنى المعروف ويخرج مقدار من الكحول قد يعلو الى ٨ في المائة في البول ومن الرئة في التنفس ، لذلك تشم رائحته في الفم . ومن الناس من يسترق الشراب ثم يحسب أن رائحته علقت بإشداقه فيغسل فاه حاسبا أنه قد ستره ويسير في الناس مطمئنا ورئتاه تدفعان بالسر في صوت جهير أبلغ من صوت الشفاه

ويتعاطى الناس الكحول للاثر الذي يكون منه في المخ والأعصاب فأول ما يحدثه نشوة تثور فيها قوى المخ فيشتد الفكر ويحتد الخيال ولكنه فكر ثائر وخيال مضطرب ، وتزول عن الانسان أثناء ذلك الدقة في العمل ويقل ضبطه للامور فتكثر الاخطاء . قام الاستاذ (دنلج) أستاذ فن المقاقير بجامعة ليفربول بتجارب على زوجه فكان يسقيها مقادير مختلفة من الكحول ويملي عليها قطعا تكتبها على الآلة الكاتبة ويعد الاخطاء . وخرج من ذلك على علاقات طريفة بين مقادير الكحول وبين الاخطاء الناتجة دلت في مجموعها على أنه بالرغم من حدة الذهن وسرعة الالهام تقل قدرة الضبط في الانسان . قيل لشاعر فكه في ذلك فقال : اذن لا بأس علي من الخمر ، استوحي بها في الليل ، وأصحح اخطاء الوحي بالنهار . ولعل من أجل هذا أن من الشعراء والكتاب من كان لا يكتب الا اذا شرب ، وذلك مشهور عن الكاتب الانجليزي المعروف شارلس دكنز ، فقد كان لا يكاد يستفيق ، كان كالشمعة يضيء للناس وهو يحترق . وتعقب دائما فترة الايحاء هذه فترة خمود عميق يكل فيها الذهن وتتثلم الحواس

وفعل الخمر بالعواطف يناهض فعلها بالعقل ، فمن الناس من يخف به الفرح حتى لينهب بوقاره ، ومنهم من تأتيه الكآبة فلا يكاد يحبس دمعه ، ومنهم من يرتاع فيهلع قلبه خوفا وفرقا ، ومنهم من يشمجر فيفشل عن عواقب الأمور . ومن المثل الاخيرة الجراحون فان منهم من لا يستطيع عمل مشرط الا اذا نقع حواسه بنقيع ابنة العنب . ولعل هذا ما حدا الى الجمع بين الخمر وبين كل لذة ولا سيما ما اتصل منها بعاطفة كالغناء والنساء . وهو الذي جمع كذلك بين الخمر وبين كل كآبة ، فكم من عزيز قوم تجهمت له الحياة في حب أو وشيجة أو مال فلم يطقها ، ولم يطق الموت ، فأمات نفسه حيا بالكاس تنوبها الكؤوس . وقد وجدوا ان للمستهلك من الشراب يزيد في الضائقات المالية التي تعتري الامم زيادة كبرى

ولعل اخطر ما في الشراب الافراط فيه حتى تأصل عادته . يشرب الشارب فيكثر ، ويشرب والمعدة ملأى بالطعام ويشرب وهي خالية فيكون امتصاص الجسم له في الحال الاخيرة أشد وسريانه في الدم أسرع والى المخ اوحي ؛ فتقصر فترة الامتصاص الاولي الى العدم ، وتسرع الحواس فتنيم والبصر فينقبض فيرى الواحد اثنين ، وتصيت الاذن ويخف الرأس ويضيع الحكم على الامور ويرغو الفريسة ويزبد وتأخذه رغبة في الشجار والتحطيم ، ثم يسقط جسدا هامدا في غشية تتعطل فيها قوى المخ جميعا الا المركز الذي يكفي لاجراء الدم واخراج الانفاس ، ثم يصحو من نوم عميق محموم الجسد مصدع الرأس نافد القوى ، بالاذن رنين لا يسكت ، وبالقلب وجبة لا تسكن ، فلا يجد خلاصا من تلك الاعراض المؤلمة الا باعادة الجرعة وهي حقا تزيلها وتزيلها سريعا . قال الاعشى

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

ولكنه شفاء لا يدوم الا قليلا ، فيأخذ المسكين يتداوى من داء بداء حتى يصبح الشراب عادة أشد تأصلا في اعرافه من تأصل الروح فيها ، وتسوء في هذه الاثناء معدته لان الكحول مهيج شديد لاغشيتها ، ويتربه فيه التهاب مزمن لا تنفع فيه حيلة الاطباء ، وتتحلل مادة كبده فتليف أو تتدهن ؛ وتقل مقاومة الجسم عامة للامراض ، ولكن أخطر من هذا أن المخ يفسد فيصبح صاحبه في اضطراب دائم ورعشة لا تهدأ ، واذا هو أناه النوم الغاسي فبأحلام مروعة أروع منها احلام اليقظة اذ ترى عينه في الجمرة الجرذان تخرج من الحيطان ، والزبانية تختبىء له في كل الاركان ، وتسمع أذنه الاحياء المتحركة تسبه والأشياء الجوامد تلعنه ويتسابق جسمه وعقله الى الفناء في منحدر زلق لا تقف الرجل فيه !

ضحى الاسلام

هو الجزء التالي لفجر الاسلام

يبحث في الحياة العقلية لعصر العباسي الاول

تأليف

الاستاذ احمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يظهر في اول يوم من فبراير سنة ١٩٣٣

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه عشرون قرشا

القصص

على هامش السيرة

حفر زمزم

للدكتور طه حسين

(٢)

لاهم قد لبيت من دعاني ... وجئت سعي المسرع العجلان
ثبت اليقين صادق الايمان ... يتبعني الحارث غير وان
جذلان لم يحفل بما يعاني ... لاهم فتصدق لنا الاماني
مالي بما لم ترضه يدان

كان صوت عبد المطلب يندفع بهذا الرجز عريضا يملأ الفضاء من حوله ، نقيا يكاد يمسك الجنان فيما يحيط به من الاشياء . وكان كل شيء مستقراً لا يضطرب فيه الا هذا الصوت العريض النقي والا هذه الذراع التي ترتفع بالمعول قوية ثم تهوي بها عنيفة ثم تدعه الى المسحاة فتقرف بها التراب في المكتل ، والا هذا الغلام الناشيء يرقب حركة أبيه ويسمع صوته ويرد عليه رجع هذا الصوت كلما وصل في الدعاء الى هذا البيت.

لاهم فتصدق لنا الاماني

حتى اذا امتلأ المكتل حمله بذراعيه الضعيفتين وأسرع في شيء من الجهد الى خارج المسجد فألقى مافيه ثم عاد وأبوه يرفع المعول في الجو ويهبط به الى الارض ويملأ فضاء البيت بصوته النقي العريض والعرق يتصبب على جبينه ولكنه لا يحس جهداً ولا يجد اعياء . وكانت الشمس قد ألقت على الارض رداء من النور نقيا ولكنه ثقيل همد له كل شيء وأوى له الناس الى بيوتهم يقيلون . وانقطعت له الحركة وخفتت الاصوات الا هذه الجنادب التي يروقها وهج الشمس ويسكرها لهب القيظ فتصدح بالغناء اذا سكت كل شيء وقد أخذ الغلام يحس لذع الجوع وحر الظمأ ولكنه لا يقول شيئا بل لا يكاد يفكر في شيء ، انما سمعه وقلبه لصوت أبيه ، وعيناه للمكتل والتراب ، ونشاطه لافراغ المكتل اذا امتلأ . وهما في ذلك اذا غلام يسعى قد أرسلته حمراء يحمل الى الرجل والغلام شيئا من طعام وشراب ، حتى اذا انتهى اليهما وضع ثقله وقال : مولاي هذا غداؤك وغداء الصبي قد أعدته سيدتي العامرية هيئته بيدها وهي تعزم عليك لتصيبن منه ولترفقن بنفسك ولترفهن على هذا الصبي الحدث : لقد قال الناس جميعا وهذا كل شيء لهذا الوهج الذي يصهر الابدان ويحرق الجلود وأنت فيما أنت فيه من جد يضني وجهد يهلك لا تقيل ولا تستريح ولا ترفق بهذا الطفل الذي لم يتعود الجهد والعناء . بعض هذا يكفيك ما تريد . ولكن عبد المطلب لم يسمع للغلام الا باذن معرضة ، ولم يستقبله الا بوجه مشيح ، انما هو ماض في رجزه واضطراب يده بالمعول ارتفاعا في الجو وهبوطا الى الارض ، والصبي يتبعه بسمعه وقلبه ، ولكن عينه ربما اختلست نظرة قصيرة ملؤها الجوع والظمأ والنهم الى هذه السلة وما فيها . وربما وقف ذهنه الصغير عن متابعة أبيه وانصرف الى ماؤى هذه السلة يعدده ويحصيه ويتمثله . ان فيها لشواء غريضا وان فيها للبنا يعازجه عسل هذيل الذي حمله خاله فيما حمل من هدايا البادية حين أقبل يزور أخته منذ أيام . وان فيها لماء عذبا ومن يدري ؟ لعل حمراء قد نقعت فيه شيئا من زبيب الطائف ، فانها تجيد ذلك وتحسنه . وعبد المطلب ماض في رجزه وفي حركة يديه بالمعول والمسحاة وقد امتلأ المكتل فيهم الصبي أن يحمله ليلقي مافيه ويدنو الغلام يريد أن يعينه في ذلك . ولكن عبد المطلب ينتهره نهرا عنيفا

« اليك يا غلام فما لهذا الامر الا عبد المطلب وابنه .

ويمضي الصبي بالمكتل ويعود ، ولكن الرجز قد انقطع وذراع عبد المطلب لا تضطرب بالمعول صعودا وهبوطا ، وانما هو مطرق الى الحفرة ينظر فيها فيطيل النظر ثم يرفع بصره الى السماء فيطيل رفعه ثم ، يدير عينه من حوله كأنه يريد أن يلتمس شيئا أو أن يلتمس أحدا . ثم يدعو ابنه في صوت ملؤه الدهش والحيرة والرضى والاشفاق :

« هلم يا غلام أنظر أترى ماء ؟ — كلا يا ابت وانما أرى ذهبا وسلاحا ؟ — ومع ذلك فلم أوعد بذهب ولا سلاح ، وانما وعدت بالماء لسقي الحجيج : انوراء هذا الامر لسرا . ولكن هلم يا بني فما أرى الا أن الظمأ والجوع قد أجهداك » .

وأقبل الرجل وابنه على السلة فاصابا مما فيها ذاعلين واجمين ما أحسب أنهما وجدا لما يصيبان طعما وأحسا له ذوقا ، يصرفهما عنه هذا الذهب الذي يتوهج في الحفرة وهذا السلاح الذي يظهر أنه كثير ثقيل . حتى اذا فرغا من طعامهما عاد عبد المطلب الى الحفرة فيستخرج مافيها فاذا غزالان من ذهب نقي ثقيل واذا سيوف ودروع . فيكبر ويرفع صوته بالتكبير ويسرع اليه أفراد قايلون كانوا قد بدأو يفدون الى المسجد كدأب قريش حين كانت تخف وطأة القيظ . فاذا رأوا هذا الكنز دهشوا ثم تسايحوا ثم بغيض الخبر فيتجاوز المسجد واذا شباب قريش وشيوخها يقبلون سراعا مزدحمين يسرع بعضهم حب الاستطلاع ويسرع بعضهم الآخر الطمع في الغنيمة ويسرع بفريق منهم باعث ديني غامض فيه خوف وفيه رجاء وفيه اكبار للآلهة وتوقع

المعجزة الخارقة . حتى اذا توافوا جميعا واستوثقوا من أن عبد المطلب قد وجد كنزا وعرفوا حقيقة هذا الكنز وقوموا ذهبه الخالص وصناعته البارعة وما فيه من سيوف ودروع أداروا أمرهم بينهم . لمن يكون الكنز؟ قال هشام بن المغيرة انما هو لقريش فقد وجد في المسجد وكل ما وجد داخل الحرم في أرض عامة فهو لقريش وقال حرب بن أمية : انما هو لبني عبد مناف خاصة فهم الذين احتفروا وهم الذين ظفروا وما ينبغي لقريش أن تغلبنا على خير ساقته الينا الآلهة وتنازع القوم وطال النزاع واختصم القوم واشتدت الخصومة وعبد المطلب صامت مطرق لا ينطق بكلمة ولا يأتي بحركة . هنالك صاح به حرب: مالك لا تقول وانت الذي وجد الكنز وانت أحق الناس به ! . قال عبد المطلب في هدوء وأناة ما ينبغي أن يكون الكنز لأحد حتى تستشير الآلهة فما حفرت ولا ظفرت الا بأمر خفي وما أرى الا أن للآلهة في ذلك ارادة وقدرا لا نبلغهما حتى نسأل الكهان . هنالك وجمت قريش وغضب بنو عبد مناف وانكروا جميعا في انفسهم أن يشرك عبد المطلب معهم الآلهة في هذا الكنز الدفين . ولكنهم لم يقولوا شيئا وما كان لهم أن يقولوا شيئا ! ومن الذي يستطيع أن يرد قضاء الآلهة ؟ حمل الكنز اذن الى الكعبة وأقبل القوم الى الكاهن يسألونه أن يضرب بالقداح وها هو ذا يضرب بقداحه ثم يضرب ثم يضرب بين قريش والكعبة فتخرج القداح للكعبة ثلاثا ويصيح عبد المطلب لقد ظهر قضاء الله فليكن ما أراد ! تفرقوا يا معشر قريش . . تفرقوا يا بني عبد مناف فليس لأحد منكم في هذا الكنز نصيب . أما هذا الذهب فسيضرب صفائح على باب الكعبة ، وأما هذه السيوف فستعلق عليها ، وأما هذه الدروع فستدخر في خزانتها . ثم التفت الى ابنه وقال هلم يا حارث اتبعني لنمض فيما كنا فيه وتفرقت قريش وفي صدورها غل وحنق . ولكن ثلاثة نفر من أهل الظواهر انتحوا ناحية وأقاموا يرددون الطرف بين الكنز والكعبة وعبد المطلب . ثم انصرفوا وقد فهم بعضهم بعضا . وأصبح الناس ذات يوم واذا الكعبة قد جردت مما علق عليها من ذهب وسلاح .

وراح عبد المطلب مع الماء الى أهله محزونا مكمودا راضيا مع ذلك لم يفارق قلبه الأمل . فاستقبلته سمراء فارة لم تسع اليه ولم تبتسم له . ولكنها لم تعرض عنه ولم تتجهم له . فلما سألها عن هذا الفتور أطالت الصمت وألح في السؤال . قالت : وهل تريد أن أبتهج ولم تريد أن أبتسم ؟ لقد علمت منذ زفني أبي اليك انك قد تزوجت رجلا لا كالرجال . لقد أحببتك ولكني أنكرتك . لقد أملت فيك ويئست منك . ثم عاد الى الأمل أول أمس ثم ها أنت ذا ترد الى اليأس مظلما حالكا قبيح الوجه بشع المنظر كأنه الغول . ماذا ؟ لم يك الطائف أربع ليال يهيب بك ويلح عليك ارهابا حينا مصرحا حينا مضمرا داعما حتى اذا أذعنت لأمره وانثنيت الى ما سبق اليك من خير وادخر لك في الارض من غنى زهدت فيه وانصرفت عنه واشفقت أن تسلمه الى قريش أو الى عبد مناف . فيقال « الفى بيده ونزل عن غنيمته فصرفت ذلك عنك وعنهم الى هذه البنية عليها الذهب وتمزها بالسلاح ! وماذا تصنع الاحجار القائمة بذهبك وسلاحك ؟ قه أنتم يا معشر قريش ؟ انكم لتكبرون من هذا الماء النضوب مالا نكبر نحن في البادية ولولا حاجاتنا ومناضلنا لما هبطنا الى بطاحكم هذه حاجين ولا معتمرين ولكنكم قوم ضعاف تكبرون مالا يكبر ويعركم أن أمتعة الناس تهوي اليكم عفوا بينما نحن نقبل اليكم بالدين وينصرفون عنكم بالطاعة ، وانما يقبلون عليكم بما عندهم من عروض . وينصرفون عنكم بما تحملون لهم من الآفاق . هلا طاولت قريشا وانتظرت بهذا الكنز حتى تروح الى ، لقد كان فيه غنى لك ولهذا الصبي الذي تعنيه وتضنيه منذ ألم بك ذلك الطائف . هلا تريث واصطعت الاناة أداة لاحتويت الكنز ولأصبحت أغنى قريش وأكثرهم مالا ولما استطاع بنو عبد شمس ان يكاثروك بما علأ خزائنها من الدراهم والدنانير . اذاً لأقبلت اليك بنو عامر بقوتها وبأسها فاعزتك ومنعتك من قريش ولكنك أشفقت وملأ قلبك الفرق وعبثت بنفسك بقية من كبرياء فأنفرت نفسك وقضيت على ابنك هذا أن يكون دون بني حرب ثروة ومالا . قال عبد المطلب محزونا : هون عليك يا سمراء وأقلل اللوم فما أرى انك تفقهين مما ترين شيئا . لا أحب لوجهك هذا التضر أن تعلوه غبرة الحرص على المال وما أحب لصوتك هذا العذب أن تشوبه مرارة الحديث عن المال . وما أرضى لك وان نسلتك أشراف بني عامر أن تمضي من أمر قريش ان فيكم أهل البادية لطباعا غلاظا ونفوساً يملؤها الطمع أنتم لا تحسنون الدين ولا تفقهون الغيب ولا تؤمنون الا بما ترون ولا تحامون الا القوة الظاهرة . لقد كنت أحسب أن مقامك الطويل هنا قد غير نفسك بعض الشيء فاذا أنت اليوم كما كنت يوم انحدرت من بادية نجد الى هذه البطحاء . هون عليك ولا تشغل نفسك بما ليست منه في قليل ولا كثير . لقد أمرني الطائف أن احتفر ووعدني أن أجد الماء لأسقي الحجيج لا أن أجد الذهب لأغنيك وأدخل الخصب على بني عامر . فليس هذا الذهب لي ولا لقريش وانما عثرت لأمر يراد وانبي لمن قوم لا يحبون الغصب ولا يستأثرون بما ليس لهم ولا يهتضمون الحقوق ، فان تكن غلظة الاعراب وجفوة البادية وجحودها قد شاقتك فذري رحالك غداً والى بأهلك فهم أحق بك وأدنى اليك . قال ذلك ونهض مغضبا وتركها واجمة بهذا الحديث العنيف تقاوم غيظا لم يلبث أن استحال الى دموع غلاظ عثرت على خديها كأنها لؤلؤ العقد قد خانه النظام .

وارتفع صوت عبد المطلب بالتكبير حتى امتلأ به المسجد وفاض من حوله وحتى اضطربت له مجالس قريش في أفناء البيت فخف الناس اليه وهم يقولون : ماذا ان هائم هذا الا مطروقا يلقى من الجن شططا ويريد أن نلقى منه شططا . اقبلوا اليه سراعا يزدحمون وقد آلى اشرافهم لئن وجدوه قد ظفر بكنز أو عثر على غنيمة ليغلبنه عليها وليبطنه منها نصيب رجل من قريش وانتهوا اليه . وهو يكبر ويصيح هذا طي اسماعيل هذه بئر زمزم ، هذه سقاية الحاج ، لقد صدق الوعد وتحقق الأمل .

فنظروا فاذا عبد المطلب قد وجد الماء ، واذا هو يستقي فيشرب ويسقي ابنه ، ويرسل الماء بيديه من حوله كأنه يريد أن يسقي الارض والهواء والناس . هنالك ابتسموا له ورقوا به وقالوا: لقد بررت بقومك ياشيبة وانبطت لهم هذا الماء يستقون منه اذ ضنت عليهم اليابيع فوصلتك رحم ، لتعرفن لك قريش هذه اليد . قال ما أنتم وذاك ؟ هذه بئري قد حفرتها ، وكشفت طيها بأمر هبط الي من السماء . وهذا شرب ساقه الله الي سأسقيكم منه ان أردت . ولكني أسقي الحجيج منه قبل أن أسقيكم فذلك أمرت وأنا على ذلك قائم . قالوا يا ابن هاشم انك لتسرف على نفسك . وتشط على قومك وتخاق على السماء . ان هذه الارض ليست لك وانما هي لله ثم لقريش ، وان كل ماوجد فيها فهو لله ثم لقريش ، وانا لم نشهد أمر السماء حين تنزل اليك ومتى تنزل أمر السماء على الناس الا من طريق الكهان . فأين الكاهن الذي أمرك أن تحتفر ؟ قال : يا قوم خلوا بيني وبين الماء . فوالله لن تبلغوا مني شيئا انكم تكثرونني بعددكم وعديدكم . ولكن الذي أمرني باستنباط هذا الماء حري ان يردعني كيدكم ويحميني من ظلمكم . انكم تستضعفونني حين ترون أني ابن واحد ولكن الذي سخرني لهذا الأمر خليق أن يمنحني من الولد من أكاثركم به وانى أقسم لئن منحني من الولد عشرة ذكورا أراهم بين يدي لأضحين له بواحد . وسمع بنو عبد مناف مقالة عبد المطلب فثارت نفوسهم وتحصبوا له وقاموا من دونه يردون عنه عدوان قريش وكاد الشر أن يقع بين القوم ولكن عبد المطلب قال : ياقوم فيم قتل الارحام وحفر الذمم واراقة الدماء ؟ انى والله ما أوثر نفسي من دونكم بشيء فان أبيتم أن تؤمنوا لي فهلم الى حكم فليقض بيننا . قال الملأ من قريش لقد أنصفكم ابن أخيكم من نفسه . فليكف بعضكم عن بعض ولنحتكم الى كاهنة بني سعد هذيم فما نعرف أبصر منها بمواقع الحكم .

وكانت قافلة قريش تتجهز للرحلة الى الشام فأجمع القوم أن يصحبها رحلهم الى الكاهنة في معان . فلما فصلت العير صحبها عبد المطلب في عشرين من بني عبد مناف وأرسلت قريش معها عشرين من بطونها المختلفة ومضى القوم ترفعهم النجاد وتخطهم الوهاد حتى طال بهم السفر ونفد ما كان معهم من ماء واشتد بهم الظمأ وأحرق أكبادهم الصدى وغدوا ذات يوم في فلاة منبسطة يحار فيها الطرف دون أن يهتدي الى أحد ليس فيها عين ولا بئر ولا شجرة ولا عشب وانما هي أرض ملساء جرداء تقع عليها أشعة الشمس الملتهبة فتلهبها تحت الاقدام وقد يئس القوم من كل روح وقنطوا من كل وجهة فاجتمعوا يتشاورون . فقال قائل منهم ياقوم انما هو الموت فأنتم بين اثنتين : اما أن تموتوا ضيعة وتصبح أجسامكم نهبا لسباع الارض والجو لا تواريكم يد في التراب ولا تؤوى نفوسكم الى جدث تطمئن فيه واما أن يقوم بعضكم على بعض ويوارى بعضكم بعضا فيكون لكل منكم حفرته وتمرن نفوسكم اذا هامت في الفضاء الواسع والت بأهلها في بطاح مكة وظواهرها كيف تهتدي إلى أجسادها فتلم بها وتسكن اليها . والرأى أن يحتفر كل منكم حفرته ، وان تقيموا فأيكم ذهب الصدى بنفسه ورآه أصحابه وبكوا عليه . فلا يذهب منكم ضيعة الا رجل واحد تمتد به الحياة الى أقصى أجل . قال ذلك قائلهم ونهض فاحتفر حفرته . وتناثل القوم بعض الشيء يفكرون في أولادهم وآخرتهم ويذكرون مكة ومن تركوا فيها من أهل وولد ومال . ويذكرون الشام وينظرون الى ما كانوا يحملون اليها من تجارة ويفكرون فيما كانوا ينتظرون أن يحققوا فيها من ربح . وتقدم رسل قريش الى الكاهنة يتلاومون في البئر وفي خصومتهم لصاحب الحق . ثم ينهضون والموت يثقل نفوسهم فيصمد كل منهم الى سنان يحط به حفرته في الارض .

كل ذلك وعبد المطلب ساكت ساكن لا يقول ولا يرمي ، ولكنه نهض فجأة وقال بصوته العذب الريض : يا معشر قريش ما أعجزكم ! ها أنتم أولاء تلقون بأيديكم وتنتظرون الموت وتقطعون ما بينكم وبين أهلكم وولدكم من أسباب الحياة ، وان فيكم لبقية من قوة وانى لكم القدرة على الحركة وفضلا من النشاط لا والله ما أنا بسالم نفسي للموت حتى يكرهني عليها ، هلم فاضربوا في هذه الأرض لعل الله أن يجد لكم من هذا الضيق فرجا » ووقعت ألفاظ عبد المطلب هذه من نفوس الناس موقع الغيث واذا الآمال تحيا . واذا النشاط يتجدد واذا القوم ينهضون الى رواحلهم واذا هم يؤثرون أن يتخطفهم الموت على أن يسمعوا هم اليه ونهض عبد المطلب الى راحلته حتى اذا جلس عليها وزجرها نهضت به وهمت لتندفع ولكن ماذا ! ماذا يسمع القوم ؟ ماذا يرون ؟ هذا عبد المطلب يصيح بأعلى صوته مكبرا وهم يتعثرون فاذا عين غزيرة قد انفجرت تحت خف الراحلة واذا هي تفور واذا الماء ينبسط من حولها فينقع غلة الارض المحترقة قبل أن ينقع غلة القوم الظماء !

هلم يا معشر قريش الى الماء الرواء ! قد فجّره الله لكم من الصخر الصلد . هلم فاشربوا واسقوا ابلكم واملأوا مزادكم هلم فاغتسلوا بهذا الماء الصافي النقي البارد في هذه الفلاة القاتمة المحرقة .

والقوم يضجون بالرضى والغبطة وان للابل من حولهم لأطيطا ملؤه الرضى والغبطة أيضا . ومن ذا الذي زعم أن نفوس الناس وحدها هي التي تجد اللذة والألم وتشعر بالسرور والحزن ، روى الناس ورويت الابل ، ورويت الارض وقالت رسل قريش لعبد المطلب عد بنا ياشيبة الى مكة فقد قضى علينا وان الذي سقاك في هذه الصحراء لهو الذي سقاك في مكة وساق اليك ما روى به الحجيج

وأرسل البشير على حمراء يثرب بأن زوجها قد عاد اليها سالما موفورا مظفرا . فقالت وعلى ثغرها ابتسامة الكئيب المحزون : « حبذا شيبة مسافرا وحبذا شيبة مقيما ! ولكن شيبة لن يخلص لي منذ اليوم . انه لا يريد كثرة الولد . وأي نساء قريش تستطيع أن تمتنع عليه . ثم أشرقت شمس النهار على عبد المطلب وهو يسعى الى عمر بن عائذ الخزاعي ليخطب اليه فاطمة وهي ام جماعة من ولده ينهم عبد الله

صديق الكلاب

بقلم احمد حسن الزيات

شرب عبد الواحد [1] وسقانا ثلاثة أقداح من الشاى العطر . ثم أطلق من حنجرته القوية جشاءة طويلة عريضة كخوار العجل ، ثم حمحم النار بأنامله وشبع ضرمها فى بقية الفحم ، ثم أشعل منها (سيكارته) العربية وأرسل فى رفق دخانها الرقيق الأدكن . وبانت على معارف وجهه شهوة الكلام . وكان كلبى الصغير قد لاذ من قرس البرد بجانب الوقد ، فهو ينطوى وينتشر تبعا لما يتلب على جو الغرفة من نفخ النسيم أو لفح اللهب . فرأيته يطيل النظر اليه فى طرف ساكن ووجه ساهم . فقلت له مداعبا : لعلك ذكرت بالكلب حبيبتك وهي فى خبائها بين كلابها وشائها . فابتسم ابتسامة العذراء الخفرة وقال : الحمد لله ما ذكرت على قترى حياة البر [2] منذ هجرته ، ولكنى ذكرت رجلا كان فى بغداد يدعى (أبا الكلاب) . فسألته وما حديث أبى الكلاب هذا ياعبد الواحد ؟ فلمع فى عينيه البشر ، لان سروره كان فى أن يتحدث وتسمع . وذهب به شىء من التيه لأن شعوره بانه يعلم مما لا تعلم يرفعه قليلا فوق قدره ، فتلك تراه عند الحديث يجلس جلسة النظير ، ويلهج لهجة الامير ، ويقرر تقرير العالم .

قص على هذه الاقصوصة وهو منها على يقين جازم ، وما كان أسرنى وأسرك لو استطعت أن أنقلها اليك بلغته الجميلة التى تأخذ من لحن بغداد ومن لحن البادية . على أنى سأحاول ما امكننى القدرة أن أترجمها ترجمة صادقة تكشف عن أثرها فى نفسه وفعلها فى نفسى

* * *

كان فى بغداد منذ خمسين عاما أسرة كريمة تمتّ بنسب العرب من جهة الاب . وتتصل بسبب الترك من جهة الأم فهى مزاج معتدل من عقليتين متباينتين لا يجمع بينهما غير الدين . والدين فى مثل هذه الحال يكون أوثق عقداً وأمتن أسبابا لقيامه مقام الجنسية الجامعة والعصبية القومية ؛ فالوالدان صالحان تقيان لا ينتميان من العروبة الا النبوة والقرآن ، ولا من التركية الا الخلافة والسلطان ، ولا يعرفان عن بغداد وفروق الا أنهما بلدان فى وطن واحد ، والولدان جميلان بارّان يكبر الذكر منهما الانثى بخمس سنين ، وقد درجا معا من مهد الطفولة ، ثم ترعرعا فى حنان الابوين على كفاف من العيش يؤتيه متجر غير نافق .

لم يشغل عبد الواحد باله كثيرا بتفصيل حياة هذه الاسرة الصغيرة . فكان كلامه عنها مرسلا مجملا لا يحال طبيعة شخص ، ولا يحدد تاريخ حادث ، ولا يعين مكان منزل ، حتى أسماء الاب والابن والبنت لم يجد فى ذكرها ما يفيد الحديث ! .

فهو يحذف ما يزعم فضولا ويسير قدما الى هيكل الموضوع وعقدة الحادث ، فيقول ان الغلام كان عمره اثنى عشر ربيعا حينما صحب خاله الى الاستانة . والاستانة يومئذ كانت متجع الخواطر ومهوى القلوب الطامحة الى السلطة أو الثروة أو العلم . فهل كانت هجرته الى دار الخلافة تنفيذا لنفسه ، أو تخفيفا عن أبيه ، أو مساعدة لخاله ، على تدبير متجره وماله ؟ كل ذلك يجهله راوى الحديث فما يعلم الا أنه شدا شيئا من العلم فى احدى مدارس القسطنطينية تحت عين وليه ورعايته ، ثم اندفع فى غمار المدينة الصاخبة يداور الامور ويتلمس المكاسب ، ثم أوغل فى مدن البلقان وشعاب الاناضول ، حينا فى خدمة الجيش ، وحينا فى طلب العيش حتى انقطع علم ما بينه وبين أهله .

كان الغريب النازح يهاجم الاخطار فى كل فج ، ويصارع الاقدار فى كل لج ، وكل همه أن يجمع من المال ما يضمن له ولاسرته خفض العيش فى ظلال بغداد الجميلة . فلما ملأ الصريدين بما أمل كان وأسفاه ربيعه قد أدبر ، وريعه قد أقفر ، وحلمه قد تبدد !! فان والديه البائسين قد ألم عليهما من بعده الحزن والفقر والفقر حتى انطفأ سراجهما فى حولين متعاقبين بعد انقطاع خبره بضع سنين . وأما البنية اليتيمة فقد حنا عليهما بعض ذوى المروءات من أهل البيوتات فضمها الى حرمه ، وواسى يتمها الحزين بعطفه وكرمه .

عاد المهاجر الى وطنه يحمل فى جيبه المال وفى قلبه الآمال فاوطأت قدماه ثرى العراق الذهبى حتى ازدحمت الذكريات على خاطره ، ومرت الحوادث المزعجات أمام ناظره ، ولكن شعوره بلذة العودة الى الارض التى أبصر عليها الدنيا ، والسماء التى تقبل منها الروح ، والهواء الذى رف عليه بالصبى ، والماء الذى نضح قلبه بالنعيم ، والاسرة الحنون التى يراه اليها الشوق . والمستقبل الباسم الذى ينتظره فى بغداد . قد شعب فؤاده وشفى كمده ومسح مابه .

عرف المحلة والدار بعد لأى لطموس المعالم القديمة . ثم قرع الباب جيد مرتجفة فاذا المالك الجديد يخرج اليه ! فاقبل عليه المسكين لهفان ضارعا يسأله : هنا كان مهبط نفسى فاين أبى ؟ وهنا كان مستقط رأسى فاين أمى ؟ وهنا كان لى مهد وأخت وملعب وجيرة ، فقل لى بربك ياسيدى اين تحمل بكل هؤلاء القدر ؟ وكان بين المسئول والسائل حوار قصير عرف منه البائس أن ريح المنون قد عصفت بأهله . فارتد الى الفندق لا يملك دمعه ولا قلبه ، ثم قضى حينا من الدهر ذاهب اللب يكابد غصص الكرب ويعالج مضض الهموم حتى رأم الزمان والايمان جروح صدره .

* * *

(١) عبد الواحد رجل بدوى كان يقوم على خدمتى وانا ببغداد

(٢) يريد الصحراء

« بقية المنشور على صفحة ٢١ »

ويعتقد في خلود أقواله هو [1] . أيها الشعر انه يسخر من رموزك الموقره وأنت للمفكرين الحقيقيين موضع الحب الذي لايفنى .

—١٠—

كيف تضاع الافكار العميقة ما لم تجمع نيرانها في ماسك الذهبية التي تحفظ سناها المتركز تلك المرآة الصافية الوهاجة المليئة — بقايا ماييد من دول — ذلك الحجر الخالد الذي تعثر به اقدامنا عندما نبحث عن أنقاض المدن الفانية ولا نجد لها من أثر .

—١١—

أيتها الملاسة الفريدة ليضيء شعاعك للعقل الانساني مواضع خطواته البطيئة المتخلفة . ليضحك الراعي على قمة منزله لكي نستطيع ان نرقب عن بعد الشعوب تطوي سبيلها . لما يصح النهار وما زال عند أوائل أشعته الفضية التي تسبق بزوغ الفجر وتميز أفق السماء من مستوى الارض .

—١٢—

ما تكاد الشعوب تفطن لنفسها وسط حشائش العوسج التي نبتت حولها وهي غارقة في سباتها . ها قد أخذت أيديهم المتضافرة تشق سوقها لصنع الجهاز الأول [2] . ما تزال البربرية تمسك أقدامنا في غمدها . وما يزال رخام الازمنة الساحقة يفلنا الى ما فوق خواصرنا . ما أشبه كل رجل نشيط بالاله « ترميس [3] » .

—١٣—

على أن روحنا الوثابة تنهض بالنشاط، فتنشق الحجب عن مكنون قواها والمكنون موجود وان توارى عن النظر . للنفوس عالم تجمعت به كنوزها وان لم نستطع لها لمسا . بين احضان الله تضام الوجود وفي منطقه تركزت حكمة البشر كما تركزت أجسامنا في فضاء الأرض .

محمد عبد الحميد منصور
ليسانسيه في الآداب

---

(١) قصد بذلك لامرتين .

(٢) ماذا يريد أن يقول الشاعر وما معنى الجهاز الاول أمر تحيرت فيه ألباب الشارحين وأنا هنا أعرض رأيي كما أبديته لاحد الاساتذه وسربه ويتخلص في أن الشاعر يشبه نشوءها عند ما يحدث أحد طرفيه الانسان وهو غارق في الجهل الذي طغى عليه وهو ناء والطرف الآخر جاءه من الناس تعلموا وفي أثناء تعلمهم نما حولهم العوسج حتى غطاهم فلما استيقظوا أخذوا من فورهم في أعمال الفأس أي الجهاز الاول لحصد تلك الحشائش فالجهاز من جهة الجريد هو عقل الانسان الذي يصله في الجهل ليحصده ومن جهة التجويف هو الفأس التي تحصد الحشائش .

(٣) في هذه الفقرة نظر فدرة الشاعر على استدعاء المعاني والصور فمكانها مستوحاة من تمثال الاله « ترميس » له اعتقاد عند الرومان فقد بلغ من احترام حق الملكية عند الرومان ان كانوا يحدون أملاكهم بتمثال الحق يكون نصيب من يتعدى عليه الشفاء الابدي وكانوا يمثلون هذا الاله نصفه الاعلى صورة رجل ونصفه الاسفل قاعدة من الرخام . فتصور الشاعر ان الاله رجلا حسنا نصفه الاسفل في رخام ومن ذلك اشتق معانيه فنحن عارفون في الجهل الى ما فوق خواصره كالاله « ترميس » وكل رجل نشيط يشبه الاله « ترميس » في أن نصفه الاسفل مسجون في بحار الجهل كما أن نصف ذلك الاله مسجون في الرخام والجهل يمسك أقدامنا في نجده كما يمسك الرخام ذلك الاله .

(١) في الاساطير اليونانية ان اوديب الملك قضى عليه أن يقتل أباه ويتزوج أمه فلما تحقد القضاء على غير علمه نقأ عينيه وخرج من طيبة هائما يقوده ابنته انتيجون

« البقية على ص ٣٢ »

وقع في نفس الوحيد الحزين ان يتزوج ليعيد الى مسجل الوجود أسم أسرته فاقترحت عليه جارة له يجوز أن تخطب اليه فتاة يقولون ان بينها وبين بني فلان عاطفة رحم . ويؤكدون أنها تنزع الى عرق كريم لطبعها المهذب وجمالها المحتشم فاطمأن قلب الخطيب الى رأي الخاطبة واختلفت المجوز بينه وبين ولي الفتاة حتى تم الوفاق وسمى الصداق وعينت ليلة الزفاف .

زفت العروس الى زوجها فبهره ما رأى من جمال واحس من ظرف وسمع من أدب ، فاقر في وجهه السرور وحمد الله على حسن توفيقه ، ثم انقضى شهر العسل على خير ما يجد زوج من زوجه . وفي ذات ليلة تجاذب العروسان اطراف السمر وشقفا بهما الحديث حتى افضى الى علاقتها بوليها فلان (بك) فاحب الزوج ان يعرف درجة القرابة بينهما ، فغضت الفتاة من طرفها ، وشاعت حمرة الخجل في وجهها ، وقالت في صوت خافت متهافت من الحزى والخوف: الحقيقة ان ليس بيني وبين هذا الرجل قرابة ! ! وانما هو نبيل محسن آواني وربائي بعدما فجعني البين في أحي ، والموت في أبي ، وأنا يومئذ في حدود الثانية عشرة . ثم تتابعت الاسئلة من الزوج ، وتسارعت الاجوبة من الزوجة ، وكان كلما انجاب عن خبايا الغيب حجاب امتقع لونه واقشعر بدنه ، واشتد وجيب قلبه ، وكانت هي كلما رأت منه ذلك نسيته الى اعتداده في أصلها فغضت تفصل المأساة وتصور العاجمة بالكلام والدمع ، عسى أن تعطف قلبه على مصابها ، فلا يفكر في طلاقها وعذابها ، ولكنها لم تكد تلمس الحجاب الاخير حتى رأت زوجها قد قشعر شعره واشتنج سحره وارتعدت أطرافه ، ثم انفجر صارخا يقول : واويلتاه ! واامصيبتاه ! لقد تزوجت أختي ! .... ثم خر مغشيا عليه . فلما ثاب اليه بعض رشده نظر الى أخته فوجدها فاقدة الوعي فتركها وابتدر الباب وخرج مسرعا لايلوي على شيء ولا يلتفت الى أحد ! .

. . .

خرج طريد القدر من بيته خروج (أوديب الملك [1]) من قصره يهيم في الطرق الغريبة المتشابكة يسأل الرائح والغادي عن مفتي بغداد ، فلما أدخل عليه باح له بسر الخطيئة فهول عليه الترك بعقابها ، فالغ في جزائها وأعقابها . ثم أفاء بعد الاستشارة والاستخارة والرؤيا بأن الله لايكفر هذا الجرم الا اذا صدف عن متاع الحياة وخرج عن أثيل الملك ، واستتر بأخلاق الثياب ، وقضى بقية عمره في جمع الخبز للكلاب شوارد !

اذعن الخاطىء البريء لحكم الفقيه الاحمق ونزل للزوجة الاثمة عما يملك ، وارتدى طمرا من غليظ الكرباس وجعل على عاتقه مخلاة

---

(١) في الاساطير اليونانية ان اوديب الملك قضى عليه أن يقتل أباه ويتزوج أمه فلما تحقد القضاء على غير علمه نقأ عينيه وخرج من طيبة هائما يقوده ابنته انتيجون

« البقية على ص ٣٢ »

مدام دى لوزى

يقلم اناتول فرانس

من « علبة الصدف »

— ١ —

دخلت فدت بولين دى لوزى إلى يدها . ثم لزمنا الصمت حينا. وكانت قد ألقت فى شىء من الاهمال على أحد الكراسى طرحتها وقبعتها من الخوص

وفتحت على المزف صلاة أورفيه . ثم دنت من النافذة ، ونظرت الى الشمس تهبط فى الافق الدامى . فقلت لها آخر الأمر ، أتذكرين الكلمات التى نطقت بها منذ عامين يوما بيوم ، فى أسفل هذا التل ، وعلى شاطىء هذا النهر الذى تدبرين اليه عينيك الآن ؟ أتذكرين انك ، وأنت تدبرين حولك يدى للتنبئة ، قد أريتنى معدما أيام المحنة ، أيام الجراثم والهول ؟

لقد وقفت على شفتى اعلان حبى اليك وقلت : «عش ، وجاهد فى سبيل العدل والحرية ! » سيدتى ، لقد مضيت جريئا منذ دلتنى على الطريق يدك الى أغمرها كما كنت أحب بالدموع والقبل . لقد أطعتك ، فكتبت ، وخطبت . أنفقت عامين أجاهد فى غير هوادة أولئك الاغمار الجياع الذين ينشرون الاضطراب والبغض ، والزعماء الذين يسحرون الشعب بهذه المظاهر الصبية يصورون بها حبا كاذبا ، والجبناء الذين يضحون فى سبيل الفوز القريب .

فاضطرتنى الى الصمت بحركة من يدها وأشارت أن استمع ! هنالك سمعنا فى ثنايا الهواء العطر ، هواء الحديقة حيث تسدح الطير ، صيحات بالموت تأتى من بعيد : «الى المشنقة أيها الأرستوقراطى ! .. ليوضع رأسه على الرمح ! » .

وكانت شاحبة ، ساكنة قد وضعت اصبعا على فمها .

قلت ، انما هو الطلب يجد فى اثر أحد البائسين . فهم يهاجمون الدور ويقبضون على الناس نهارا وليلا فى باريس . ولعلهم يدخلون هنا . يجب على أن أنصرف حتى لا اعرضك للشر . فمع أنى لا أكاد أعرف فى هذا الحى ، فأنا فى هذه الايام ضيف خطر .

قلت : أقم !

وللمرة الثانية مزقت الصيحات الهواء الهادىء فى المساء . وكان يخالطها وقع الخطى وطلق النار. كانوا يدنون وكنا نسمع : « سدوا المنافذ ، لايفلت الوغد ! »

وكانت مدام دى لوزى ظاهرة الهدوء ، يعظم حظها منه كلما قرب الخطر .

قالت لنصعد الى الطبقة الثانية ؛ فقد نستطيع أن نرى من ثنايا النافذة ما يحدث خارج البيت .

ولكنا لم نكد نفتح الباب ، حتى رأت فى الدهليز رجلا ممتقع الحيلة ، تصطك أسنانه ، وتصطدم ركبتاه من الاضطراب . وكان هذا الشبح يتمتم بصوت مختنق : انقذونى خيشونى ! . . . هاهم أولاء .. لقد اقتحموا بابى ؛ واغاروا على حديقتى .. هم يدنون..

— ٢ —

عرفت مدام دى لوزى « بلونشونيه » الفيلسوف الذى يسكن الدار المجاورة ، فسألته فى صوت شديد الخفوت :

هل بصرت بك طاهيتي ؟ فهى بمثوبة !

أجاب لم يرنى أحد .

قالت الحمد لله ، أيها الجار !

ثم قادته الى غرفة نومها حيث تبعتها . ولم يكن بد من الحيلة ، ولم يكن بد من أن نجد مخبأ نخفى فيه «بلونشونيه» أياما ، أو ساعات على الاقل ، حتى نخدع الطالبين وتضيعهم . واتفقنا على أن أراقب المسالك الى البيت حتى اذا آذنتها انسل الصديق البائس من باب الحديقة الصغير .

ولم يكن فى اثناء ذلك يستطيع أن يثبت على قدميه . كان رجلا مصعوقا.

وحاول أن يفهمنا أنهم يجدون فى طلبه ، هو عدو القيصر والملوك ، لانه إئتمر بالدستور مع مسيو « دى كزوت » وانضم فى ١٠ اغسطس الى المدافعين عن قصر التويلرى. ولم يكن هذا كله الا اتهاما دنيئا . انما الحق أن «لوبان» كان يتبعه بحقده وموجدته ؛ كان لوبان جزاره ، وكثيرا ما هم أن يضربه بالصى ليأخذه بأن يحسن وزن اللحم ، ولكنه الآن يرأس لجنة الحى الذى يقوم فيه حانوته .

وبينا هو يتمتم بهذا الاسم مختنق الصوت ، خيل اليه انه يرى لوبان نفسه ، فأخفى وجهه بيديه . وكان لوبان يصعد حقا فى السلم . فأحكمت مدام دى لوزى رتاج الباب ودفعت الشيخ خلف ستار . ودق الباب ، وعرفت بولين صوت طاهيتها ، التى كانت تصيح بها أن افتحى ، وان لجنة البلدية بالباب ومعها الحرس الوطنى ، يريدون أن يفتشوا ، يزعمون أن بلونشونيه فى البيت ، وأنا واثقة بأنهم مخطئون ، فما كنت لتخفى وغدا كهذا ، ولكنهم لايريدون تصديق.

فصاحت مدام دى لوزي من وراء الباب حسن ! فليصعدوا ! أطلعيهم على البيت كله من أسفله الى أعلاه .

وسمع البائس بلونشونيه هذا الحوار فأغمى عليه خلف ستارة ، ولم ترد عليه الحياة الا بعد مشقة حين نضحت صدغيه بالماء . فلما أفاق قالت السيدة للشيخ فى صوت خافت : اعتمد على صديق ، واذكر أن النساء مكرة .

ثم اقبلت فى هدوء ودعة كما لو كانت تعانى بعض شؤون البيت الى السرير ، فجذبته من مكانه قليلا ، ونفضت الغطاء واستعانت بى فى لفه بين وسائده الثلاث فراغا مما يلى الحائط .

وبينا هي في ذلك اذا ضجيج عظيم للاحذية ، والقباقيب ، والكرانيف والأسواط اللغاط يسمع في السلم . فقضينا ثلاثتنا بغتة ملؤها الروع ، ولكن الضجيج صعد قليلا قليلا فوق رءوسنا . فعرفنا أن الحرس قد بدأوا بقيادة الطاهية اليعقوبيه يفتشون على البيت . وكان السقف يضطرب ، وكان يسمع للقوم نذير ، وضحك عليظ ، وضرب بالأرجل والخراب في الجدران . فتنفسنا ولكن لم نكن في الوقت سعة . واعنت بلونشونيه علي أن يدخل في الفراغ المهيأ بين الوسائد .

وكانت مدام دي لوزي ، تهز رأسها وهي تنظر الينا . فقد كان للسرير بعد هذا العبث شكل مريب . فحاولت ان ترده الي هيئته الأولى ، ولكنها لم تفلح .

قالت : لابد من أن انام فيه . ثم نظرت في الساعة ، فاذا هي السابعة مساء .

فقدرت أن لسراعها الي النوم في هذه الساعة سيبعث الريبة . ولا سبيل الى التفكير في تكلف المرض : فان الطاهية اليعقوبية خليقة أن تفضح هذا المكر .

فلبثت على هذا النحو مفكرة لحظات ، ثم اذا هي في هدوء وبساطة وحياء ، ملؤه الجلال تخرج من ثيابها أمامي ، ثم تدخل في سريرها وتأمرني أن أخلع أنا وأجرد من ثيابي وهي تقول : يجب أن تكون خليلي وأن نفاجأ في هذه الحال . فاذا اقبلوا لم نجد من الوقت ما نهيء فيه زيك وتصلح من شكلك . فتنتج لهم في لبسة المتفضل وقد انتثر شعرك . . .

وكان كل شيء قد تم كما قدرنا حين هبط الحرس الوطني صاخبا ساخطا .

وأخذ بلونشونية اليائس رعشة عنيفة كان السرير يضطرب لها اضطراباً .

وكان تنفسه من القوة بحيث كان يجب أن يسمع من خارج الغرفة .

قالت مدام دي لوزي : يا للخسران لقد كنت شديدة الرضى بهذه الحيلة . وبعد فلا ينبغي أن ييأس فلعل الله أن يعيننا .

واضطرب الباب لصدمة قوية .

قالت : من الطارق ؟

فاجيبت : هم ممثلوا الامة .

قالت : ألا تنتظرون حينا ؟

قيل : افتحي والا كسرنا الباب .

قالت : هلم فافتح ياصاحبي .

وما هي الا ان كانت العجزة فانقطع اضطراب بلونشونيه وزحيره لجأة .

— ٣ —

وكان أول الداخلين لوبان وقد أخذ منطقته وتبعه اثنتا عشرة حربة .

فأدار بصره بين مدام دي لوزي وبيني ثم قال : يخ ، يخ ! لقد استكشفنا عاشقين ! معذرة ايتها الحسناء !

ثم التفت الى الحرس وهو يقول : انها الاخلاق للثائرين . ولكن هذه للصادفة رغم حكمته قد ملأته سرورا .

فأقبل حتى جلس على السرير وأخذ يدغن الحسناء الارستقراطية وهو يقول : نعم ان هذا الفم لم يخلق ليردد في الليل والنهار : أبانا الذي في السماء ! .

ولو قد فعل لعظمت الخسارة ، ولكن الجمهورية قبل كل شيء . انما نبحث عن الخائن بلونشونيه . هو هناء لا اشك في ذلك . لابد لي منها . لأتقدمه لتضرب عنقه . ولأكون بذلك سعيداً .

قالت : فتشوا عنه اذن .

فنظروا تحت الاثاث وفي الخزائن ، وادخلوا الحراب تحت السرير ، وجسوا الوسائد بالخناجر .

وكان لوبان ينظر اليه بمؤخر عينه وهو يحك أذنه . فاشفقت مدام دي لوزي أن يوجه اليه اسئلة محرجة ، فقالت : انت تعرف البيت كما أعرفه ياصاحبي . خذ المفاتيح وطوف بسيو لوبان بكل مكان . وانا اعلم انك ستجد لذة وسرورا في ارشاد المخلصين للوطن .

فقادتهم الى الكهف حيث شربوا مافيه من حطب وشربوا عدداً ضخما من القناني . ثم شق لوبان بكرنته الدنان للترعة . فلما خرج من الكهف الغارق في النبيذ أذن بالرحيل . فصحبتهم حتى اغلقت من دونهم الباب ، وأسرعت أعلن الى مدام دي لوزي أن قد نجونا .

فلما سمعت هذا الباً عطفت رأسها الى الفراغ بين السرير والحائط ، ونادت : مسيو بلونشونيه ! مسيو بلونشونيه .

فأجابها رجع نفس ضئيل .

هنالك صاحت الحمد لله ! لقد روعتني فقد كنت أرى انك قضيت ! . ثم التفتت الى قائلة : مسكين انت أيها الصديق لقد كنت تجد لذة عظيمة في أن تقول لي من حين انك تحبني ، لن تتولدا لي بعد اليوم .

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

نقلها الى العربية

احمد حسن الزيات

وهي قصة من الشعر المنثور قوية العاطفة دقيقة الوصف رائعة الأسلوب . تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ ومن المكتبة التجارية والثمن ١٥ قرشاً

العالم النسائي

شعوري نحو مصر والمصرية

نائبة هذا المقال سيدة سويسرية واسمة الثقافة، دقيقة الملاحظة صافية الشعور وقد وعدت الرسالة أن تواصل الكتابة في هذا الموضوع فلها الشكر

(المحرر)

مصر اسم يخلب اللب ويسحر القلب ويستثير حتى في أجفى الناس طبعاً صورة هذا البلد الفاتن والطبيعة الخصبة والبدر اللامع ويلهم النفوس ذكرى هذا الماضي العريق والمدنية القديمة والعظمة الفرعونية وقصص الف ليلة وليلة الرائعة ، وقد انهكتها جهود المدنية الاولى فاستجمت بعد هذا الشوط البعيد حقبة طويلة من الدهر ما تزال تتذوق فيها خيال هذا الماضي العظيم وسلطانها السالف !

وكم من عاشقين غمرتهم شمسها الضاحكة بالفرح والسعادة ودفء القلوب !

وكم من خياليين جاشت نفوسهم في ربوعها ومجاليها بالأخيلة البعيدة والاحلام البهيجة !

وكم من مترفين ملأوا فراغ حياتهم وخيالهم بمباهجها ومناظرها وقضوا شهوة التطلع من عجائبها ومن المتناقضات فيها !

أليست تجمع في الواقع الكثير من هذا التناقض ؟ فيجاور الجاه العريض والرغد الوفير البؤس الساحق والفقر المدقع ؟

ألست ترى السيارات الفخمة ذات الفرش الوثيرة عند مداخل الملاهي والفنادق الضريرين يستدرون الرحمة ويسألون العطف في أسمال رثة ؟ !

على أن المدنية تسير فيها الآن بخطى واسعة سريعة ففي الحين بعد الحين يبدو بين الناس رأي ناضج أو صناعة رائجة فتكون الدليل الساطع على الفوز والنجاح . على أن كثيرا ما فارت حماسة الناس ثم فترت ، وانقدت شعلتهم ثم خبت ، ما أشد حاجتهم الى ملكة الاستمرار والاستقرار !

ولطالما سئلت عن رأيي وشعوري في مصر . وكان جوابي واحدا لا يتغير ، انها ككل بلاد العالم فيها الطيب والخبيث ، على أنا اذا قدرنا ان العوامل الاجتماعية وظروف الحياة تخلق الامم كما تخلق الفرد وجب الا يغيب عن أذهاننا تأثير هذه الظروف والعوامل حين الحكم على مصر التي تجاهد الايام لاستعادة عظمة القرون الاولى

فاذا أردت أن أتحدث عن شيء فيها فأنا أتحدث عن أقوى العوامل أثراً في تكوينها ، وهو المرأة في مختلف أطوارها وادوارها وسؤ وليالها وواجباتها

وقد يبدو للنظرة الاولى أن أثرها ضئيل ، فما وجه العلاقة والخطر بين هذا المخلوق الخانع قليل الحظ من العلم ومن عظمة الأمة ومجد الوطن ؟

لقد قضيت الآن في مصر ثلاث سنين شعرت فيها بجاذبية غريزية تجذبني نحو المرأة ، وأغلب ظني انها تحتاج الى عناية اكثر وجهد أوفر ، فانها أس الحركة الروحية وجماع الأسرة وروحها الحياة وشريك الزوج ومربية الاطفال وربة الدار

ولقد استطعت أن أقدر وأنا أعيش في بيئة مصرية محضة أن المرأة لا تستطيع أن تكون كل ذلك الا اذا بذلت أعظم مجهود وتغلبت على كل صعوبة فانها ما تزال ترسف في أغلال العادات وتعليمها لا يزال ناقصا ، وشعورها العميق الذي ولده التقليد القديم بانها مخلوق تافه الشأن ضئيل الوجود يقتل في نفسها أسمى معاني الحياة

وهي بطبيعتها مقلدة غير مستقلة ، فكم شاهدت سيدات الأسرة الواحدة لا يختلفن في القناع والمطف والفراء وقد تبدن عصابة الرأس الشرقية التي كانت تلائم الوجه الشرقي كل الملاءمة

على أن البدء عسير عادة ، والمرأة المصرية ما تزال في خطوات التطور الاولى ، بل قد يكون البدء في بعض الأحيان مثيرا للاشفاق والنقد ، فاننا اذا لاحظنا زينتها وتجملها رأينا ما يبعث أحيانا على السخرية ، فليس أضحك من وجه شرقي الملامح زاد الكحل عينيه الدعجاوين سوادا ، وشفتين خضبها الاحمر القاني ، وشعر قد حاله الاوكسجين الى أصفر فاقع

فنصيحتي الى المصرية العزيزة أن القصد والبساطة في التجمل والزينة هما سر رشاقة المرأة وأناقتها .

كامل

(يتبع)

اشتراك الفتاة فى الحياة العملية

أنا ان اقدمت على الخوض فى هذا الموضوع فلست أبشر بمبدأ جديد لم تعرفه مصر، أو افتح بابا موصدا فى هذا البلد العزيز فكلنا يعرف ما تقوم به الزيفية المصرية من الاعمال فهى والرجل على قدم المساواة فى العمل بل قد تبذه فى كثير من نواحى الحياة مما يقصر عنه باع فلاحنا وتضرب فيه الزيفية بسهم عظيم، على انى بمعالجة هذا الموضوع أريد أن أوجه النظر الى حياة الفتاة المدنية فاستعرض بعض نظمها وأتتبع بعض أدوائها على أوفق الى ايصال صوتى اليها

وفى نطاق هذه الكلمة أخرج من دائرتى بنات الطبقة الفقيرة المعدمة فهؤلاء غير ملومات ولا يمكن أن ينسب اليهن أو الى أوليائهن أى تقصير فهن بحكم ظروفهن قد هدتهن الطبيعة الى استنباط وسائل العيش فكن أقدر من غيرهن على خوض غمار الحياة على رغم ما بهن من فاقة وما يحيط بهن من املاق، ولكنى أنظر الى فتاة الطبقة الوسطى وفتاة الطبقة الغنية لأرى هل نظرت احداهما الى الحياة نظرة عملية تتفق وعصرنا الحديث ؟

قد ينكر البعض على هذا التساؤل ولكنى أريد أن أصل الى الحقيقة لا يشوبها ملق ولا يموهها خداع، أريد أن أنظر الى اخواتى وأترابى بعين الحقيقة والواقع

حقا ان البعض متعلمات والبعض مقبلات على التعليم ولكنى أرى الكثيرات لا يأخذن للحياة بعلمهن فيمهدنها لمستقبل عملى مجيد. أرى الكثيرات وقد قنعن بقشور التعليم دون اللباب وقبعن فى عقر دارهن مكتفيات ببضع كلمات جوفاء يتشدقن بها خلال التفنن فى التبرج وقضاء الساعات أمام المرآة.

الحق ان مثل هذه النتيجة لا تساوى عناء الدرس وليس فيها لهذا البلد غناء.

هلا كان منهن من نظرن الى أنفسهن والى وطنهن وجعلن من حياتهن منهلا لخدمة الاثنين ! ماذا يفيد الأمة وآنستها متأنقات جميلات ولكن على حساب الرجل التعس الذى يعولهن ؟ ماذا يفيد الأمة وآنستها مستهلكات غير منتجات منفقات ثروات الرجال فى المخازن الاجنبية لقاء ثوب أنيق أعجبهن وأداة زينة استغوتهن ؟ أريد أن تستشعر الفتاة العلم الذى تعلمت. أريد أن تشعر الرجل انها لم تعد ذلك الحيوان الدلال الذى يعيش على حسابه ولنعمته. أريد أن تقاسم الفتاة الرجل فى العمل والكسب والتمتع بالحياة. أريد فتاة مصرية عاملة تصل وتزاحم فى الحياة بالمنكبين تستشعر لذة العمل وتنهض بعصرنا العزيز وتربأ بنفسها أن تكون قعيدة البيت أسيرة المرآة، أريد الفتاة التى تثأر لخولها الماضى الطويل وتستقبل الدنيا بنفس ملؤها العزم والحزم تزينها الكرامة ويتوجها العفاف.

ترى هل من تستجيب لدعائى ؟ ترى هل من تنهض من أجل مصر ؟ ان قلب مصر ليخفق، وان مصر لتزخر بالحياة وان هو الا أن تتسابق الى العمل حتى تهز العالم بجلال نهضتنا وتمضى كما بدأنا مصريين لنا نفوس أبية وأيد فتية وأثر فى الحضارة غير منكور

نجية ابو العز

مدرسة بالمنوفية غمرة الابتدائية

صديق الكلاب بقية المنشور على صفحة ٢٨

ومضى يقرع كل بيت ويقصد كل مطعم فيجمع الفتات والخبز ثم يقف بالميدان فيقسمه بالسوية على من اجاب الدعوة من كلاب الحى.

لم يمض غير قليل حتى عرفه الناس وألفه الكلاب فصار يمشى فى الازقة وخلفه منها قطيع، وينام فى العراء وحوله من شدادها حرس مطيع، وتعين الوجبة العامة فلا تجد كلبا طليقا فى بغداد الا أجاب نداءه. وتناول من يديه المحمومتين غداءه، ولكن الوالى رأى على طول الزمن أن يدعى أن الكلاب على رعيته عافية ووبيع فسمن هزيلها وكثر قليلها حتى اختنق بلهاثها النهار؛ وصم بنباحها الليل، وأصاب الناس من عضاضها وأمراضها شر كبير. فأقام فى ظاهر المدينة حظيرة واسعة ثم أمر الشرطة فصادوا الضوارى وألقوها فيها. فكان أبو الكلاب على عادته يجمع الطعام والعظام ثم يذهب الى ضيوف الحظيرة فيطعمها ويسقيها ثم يتهالك على الارض من اللغوب فيرقد مكانه حتى الصباح.

وفى ضحوة يوم من الايام أولم الوالى لاسراء وليمة السفاح فما نجا من بطشها لاهث ولا تاع، وجاء ابو الكلاب فرأى آلافه الخصاء على أديم الارض صرعى لا يتلاقن بعين ولا يمضغن بذنب!! فنظم على المكان أن يرى مثال الصداة يموت وشبح الجريمة يحيا فتساقط بجانب السور مهدود القوى صريع اليأس وليث مكانه لا يأكل طعاما ولا يذوق منآما حتى لحق بربه.

فى الصيف

للدكتور ط حسين

يبيعه من اليوم شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

(ثمن النسخة ١٠ قروش والجملة ثمن خاص)

النقد

لاتينيون وسكسونيون

أرضى أم نسخط حين تعنى الصحف السيارة بالأدب والنقد وحين تتفق مع كبار الأدباء والنقاد على أن يحرروا لها ما تحتاج اليه من الفصول فيها ؟ فى ذلك مايدعو الى الرضى من غير شك فهذه الصحف السيارة منتشرة وهى أشد انتشاراً من الكتب وأدنى الى نفوس الناس وعقولهم والى عيونهم وآذانهم من المحاضرات والأحاديث فهى اذاً تخدم الادب والنقد حين تذيع رسالتهما فى أكثر عدد ممكن من الناس وهى اذاً تخدم الناس حين تنشر فيهم الثقافة الأدبية وترفع دهماءهم الى حيث يستطيعون أن يروا ويذوقوا جمال الأدب الرائع وآيات الفن الرفيع . وهى لهذا وذاك تخدم الأدباء والنقاد أنفسهم لأنها تعرفهم الى اكبر عدد ممكن من الناس فى أقطار مختلفة من الارض فترفع ذكرهم وتعلى قدرهم وتنشر دعوتهم وتكسب لهم الأنصار والمؤيدين وهى بعد هذا كله وقبل هذا كله تخدم نفسها حين تستعين بالأدباء والنقاد على كسب القراء وتستعين برضى القراء على احتكار الادباء والنقاد . كل هذا حق ولكن هناك حقا آخر يظهر أن ليس من سبيل الى الشك فيه وهو أن عناية الصحف السيارة بالأدب والنقد لا تخلو من ضرر، ومن ضرر قد لايكون قليلا . فالأدب والنقد فى حاجة الى الاناة والروية وامعان التدبر واطالة التفكير فاذا لم يظفر الأدب والنقد بهذا كله فهما عرضة للضعف والقتور وهما عرضة للتقصير والقصور وهما عرضة لتجاوز الحق والتورط فى الباطل وهما عرضة بهذا كله للاساءة الى أنفسهما وللاساءة الى الادباء وللاساءة الى القراء أنفسهم . فانما يكون الخير فى نشر الادب والنقد اذا نشرا على وجههما جيدين رفيعين منصفين متبرئين من هذه العيوب التى تفسد جمال الفنون العليا . وأظنك لا تخالفنى فى أن حياة الصحف السيارة وضروراتها وحاجتها القاهرة الى أن تظهر فى نظام وتصدر فى وقت معين وتعطى قراءها ماتعودت أن تعطيهم فى كل يوم أبعد الاشياء عن ملاءمة ما يحتاج اليه الأدب والنقد من الأناة والروية ومن التدبر واطالة التفكير . ولعلك قرأت فى بعض الكتب التى قصت علينا حياة اناتول فرانس وقصت لنا بعد موته اطرافا من من سيرته وأطواره فى حياته الادبية انه شقى بهذا ثم تعوده فسخر منه وازدرى الصحف والأدب والقراء ونفسه أيضاً وعبث بهذا كله . فكان فى بعض الاحيان من أقل الناس عناية بما يكتب للصحف وتحريا فيه للحق ولا سيما حين كان يكتب لبعض الصحف الاجنبية كان يلفق لهذه الصحف أى شىء ويضع اسمه فى آخره ويأخذ أجره على هذا التلفيق ساخراً بالصحيفة وقرائها معتزاً باسمه منتفعاً بما يقع فى يده من المال كل شهر أوكل أسبوع[1]

ويعظم على الأدب والنقد خطر ما تحتاج اليه الصحف السيارة من السرعة والنظام حين لا يكون الادباء الذين يكتبون لها فى الأدب والنقد مقصورين على أدبهم ونقدهم بل تضطرهم ظروف الحياة العامة والخاصة الى أن يتجاوزوهما فيكتبوا فى السياسة أيضا . فهذه السياسة على أنها من حيث هى شر على الادب لأنها تستغرق من جهد الأديب وميوله وعواطفه مقداراً عظيما كان ينبغى أن يخلص للادب ، يشتد شرها ويعظم لأنها تثأر هى ايضا بحاجة الصحف الى النظام والسرعة ويطرد الاحداث السياسية وتطورها واضطرار الكاتب الى أن يتبع هذا التطور ويسايره ويكتب فى ألوانه المختلفة . فاذا أضفت الى هذا كله أن للأديب أو الناقد حياته الخاصة بنفسيها المادى والمعنوى وحياته الاجتماعية التى تضطره الى أن يستقبل ويزور ويجامل ويتقبل المجاملة ، عرفت مقدار الجهد الضئيل الذى تظفر به فصول الادب والنقد فى الصحف من الادباء والنقاد .

خطرت لى كل هذه الخواطر حين قرأت فصلا قيما نشرته جريدة الجهاد الغراء لصديقى الاستاذ عباس محمود العقاد صباح الثلاثاء ١٧ يناير .

أراد الاستاذ العقاد أن ينقد كتاب الاستاذ أنطون الجميل فى شوقى شاعر الامراء . ولم أكن أشك فى أن الاستاذ سيشتد على الكتاب ومؤلفه وعلى شوقى أيضا . فمذهب الاستاذ فى الادب العصرى معروف وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الاعجاب بشعر شوقى وعن الاقرار للذين يعجبون بهذا الشعر . وقد أشار ك

---

[1] انظر كتاب Anatole France en pantoulles بقلم سكريبه بردسون ص ٢١٨

الاستاذ فى كثير جدا من آرائه فى شوقى والمعجبين بهما . ولكن الشيء الذى أخالف فيه الاستاذ أشد الخلاف . والذى أكتب من أجله هذا الفصل هو هذه المقدمة التى بسطها بين يدى نقده لكتاب الاستاذ أنطون الجميل . وعرض فيها لما سماه نقد اللاتينيين ونقد الكسونيين . وأحب ألا يغضب الاستاذ الناقد اذا اصطنعت الصراحة فى بسط رأيى فى هذا الفصل فلعله يوافقنى على أنه فى حقيقة الامر غير راض عن الكتاب ولا مؤمن ولكنه أراد أن يكون ناقدا مجاملا لينا فاستعار من اللاتينيين ما يسيبهم به من المجاملة واللياقة فى النقد لم يرد أن يصارح الأستاذ أنطون الجميل بأن كتابه لا يرضيه من كل وجه لأنه حريص على مقدار ولو محدود من المجاملة بين الزملاء . ولم يرد أن يعيد على الناس حديثه فى شوقى وشعره لان شوقى قدمات منذ وقت قصير والنظم الاجتماعية تقضى بشيء من المجاملة للموتى وللذين رزئوا فيهم أشهرا على أقل تقدير . لم يرد هذا ولا ذاك . ولم يكن يستطيع أن يهمل كتاب الاستاذ انطون الجميل فضلا عن أن يقرظه تقريظا خالصا لان فى هذا أو ذاك ظلما لرأيه وكتمانا لما يعتقد أنه الحق فذلك فى نقده هذه الطريقة الغريبة التى لا تخلو من التواء . اعتذر للاستاذ انطون الجميل بثقافته اللاتينية وأخذه المذهب اللاتينى فى النقد عما تورط فيه من خطأ بين وحكم غير مستقيم على شعر شوقى . ولست أدرى اظفر الاستاذ الناقد بارضاء الاستاذ انطون الجميل أم لم يظفر ؟ أوفق الى مجاملته أم لم يوفق ؟ أوفق الى مجاملة شوقى والذين رزئوا فيه أم أخطأه هذا التوفيق ؟ لست أدرى ولكني أعلم علم اليقين أنه ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتينى وظلم قراءه جميعا وأظن أن ارضاء الاستاذ انطون الجميل أو مجاملته أهون على الاستاذ الناقد وأهون على الاستاذ الجميل نفسه من ظلم العلم والأدب والقراء جميعا .

وأغرب ما فى هذا الفصل الذى كتبه الاستاذ الناقد تناقض لست أدرى كيف تورط فيه . وهو انيا أعلم من أشد الكتاب المعاصرين فى الأدب استقامة فى الحكم وايثارا للقصد وحرصا على الاصابة فى التفكير . بدأ الاستاذ فصله بأن من العسير جدا أن يوفق الناس الى الحق حين يعمون أحكامهم على الأمم والشعوب . وعلل ذلك تعليلا حسنا مستقيما ولكنه لم يلبث أن اتخذ لنفسه وسيلة للحكم العام على الأمم والشعوب . بل على ماهو أعم من الأمم والشعوب على الاجناس . فزعم أولا أن للاتينيين مذهبا فى النقد وان للكسونيين مذهبا آخر وأن هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما أشد الاختلاف . وزعم بعد ذلك أن أخص ما يمتاز به المذهب اللاتينى « الاناقة » . وأخص ما يمتاز به المذهب الكسونى « البساطة » أو « الفطرة » . وفسر هذا بانك اذا قرأت الناقد الفرنسى رأيت رجلا أنيقا لبقا يتقدم فى أحد الصالونات كاتبه الذى ينقده على الاوضاع الاجتماعية المألوفة مجاملا متكلفا وقد يرمى ايماءا خفيفا الى بعض العيوب ولكن على سبيل التكتة أو على سبيل الحيلة فى التماس الدفاع عن هذا الكاتب الذى ينقده أو الرجل الذى يقدمه الى الصالون . أما الناقد الكسونى فهو لا يحفل بالاوضاع الاجتماعية . وانما يهجم بك فورا على الحياة الفردية على الحقيقة الانسانية ، على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد من جماعة . ومعنى هذا ان نقد اللاتينيين سطحى مخالف لأصول العلم وان نقد الكسونيين هو النقد العلمى الصحيح الذى تجد فيه الفائدة وتجد فيه الغناء . وأنا احب أن يعذرنى الأستاذ الناقد اذا قلت له فى صراحة انى كنت انتظر منه كل شيء الا التورط فى هذا الخطأ العارخ والظلم المبين . فليس من الحق بوجه من الوجوه ان الاختلاف بين النقاد اللاتينيين والكسونيين عظيم الى هذا الحد الذى يتصوره الاستاذ . فليس هناك نقد لاتينى ونقد كسونى ، وانما هناك نقد فحسب . نقد يعتمد على هذا الذوق الفنى العالى الذى أحدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنهما الأمم الحديثة على اختلاف أجناسها وبيئاتها . فكل النقاد من الفرنسيين والايطاليين والالمانيين والانجليز قد قرأوا آيات البيان اليونانى واللاتينى وذاقوا آيات الفن اليونانى والرومانى وكونوا لأنفسهم أو كونت لهم هذه القراءة ذوقا عاما مشتركا بينهم جميعا يختلف فى ظاهره ولكنه لا يختلف فى جوهره لأن هذا الجوهر واحد مستمد من هوميروس وبندار وسوفوكل وارستوفان وافلاطون وسيسيرون وتاسيت ومن اليهم . ثم وهذا النقد الحديث يعتمد على أصول أخرى غير الذوق ، أصول تشبه العلم أو تحاول أن تكون علما . وضعها ارسطاطاليس ومن جاء بعده من نقاد اليونان والرومان وسموها علم البيان . يعتمد النقد الحديث عند الامم الاوربية مهما تختلف اجناسها على هذين الاصلين : الذوق الذى تكونه الثقافة اليونانية اللاتينية ، والعلم الذى وضعه ارسطاطاليس وأصحابه . وللاستاذ أن يدرس على مهل وفى أناة وروية من شاء من النقاد المحدثين فى أى أمة من الامم الأوروبية فيرى أن هؤلاء النقاد جميعا يتفقون فى أن نقدهم يقوم على هذين الاصلين اللذين أشرت اليهما . فاذا اختلفوا بعد ذلك فانما يختلفون فى الاشكال والصور باختلاف أمزجتهم الخاصة وباختلاف البيئات التى يعيشون فيها ويكتبون لها

عسير جدا أن يقال اذا إن هناك نقدا لاتينيا ونقدا كسونيا وأن هذين النقدين يختلفان فى الجوهر والطبيعة ، ثم اعتذر الى الاستاذ

بعد هذا من أني لا أستطيع ولا أظن ان أحداً يستطيع أن يقره على رأيه في النقد اللاتيني ، بل أنا لا أقضي العجب من تورط الاستاذ في اعلان هذا الرأي الغريب فليس من الحق أن النقد اللاتيني سطحي وليس من الحق أن هذا النقد يعتمد على الاوضاع الاجتماعية ويهمل الانسان من حيث هو انسان . هذا كلام لا يمكن أن يقبل مع أن من الاشياء المقررة التي يتلقاها التلميذ في المدارس أن قوام الادب الفرنسي كلاسيك انما هو بالضبط : الغاء هذه الفروق والاوضاع الاجتماعية التي تمتاز بها الأمم والشعوب فيما بينها بل التي تمتاز بها البيئات المختلفة في أمة بعينها والاتجاه الى الانسان من حيث هو انسان الى هذا القدر المشترك بين الناس جميعا من العقل والشعور . على هذه القاعدة يقوم الأدب الفرنسي الكلاسيك كما يقوم عليها الادب اليوناني القديم . والأدب كله على ما فيه من شعر ونثر ونقد ، فكيف يقال في أدب يقوم على هذا الأصل انه سطحي يقوم على الظواهر والاوضاع الاجتماعية .

ولأدع الادب بعامة والآن أتحدث عن النقد وحده ولن أحدث الاستاذ عن نقد بوالو وفولتير وغيرهما من النقاد الذين عاشوا قبل الثورة فان حديث هؤلاء يطول ، وانما أتحدث الى الاستاذ عن النقد الفرنسي في القرن الماضي ، واسأله كيف يستطيع أن يقول ان هذا النقد سطحي يعتمد على « اللباقة » و« اللياقة » والاوضاع الاجتماعية ويهمل الحقيقة الانسانية البسيطة ؟ ألم يقرأ سانت بوف ؟ ان قراءة فصل واحد لهذا الكاتب الذي ملأ الدنيا نقداً لانه أنفق في النقد ستين سنة من حياته تنبع الاستاذ ومن هو أقل من الاستاذ جداً الماماً بالادب والنقد بأن سانت بوف كان أبعد الناس عن أن يكون رجلا من رجال الصالونات يقدم الكتاب والشعراء الى الناس في أناقة ولباقة وظرف ومجاملة . ولعل الاستاذ يعلم أن أهم ما أخذه سانت بوف من العيب انما هو تعمقه أسرار الناس وبحثه عن دخائلهم وتتبعه لحياتهم الفردية فما ينبغي أن يعرف وما ينبغي أن يجهل ، وعرفه هذا كله على الناس لأنه كان يرى أن فهم الادب رهين بفهم الشخصية الفردية للادباء الذين ينتجونه . ولو قد وقع شوقي رحمه الله بين يدي سانت بوف كما وقع لامرتين لقرأ الاستاذ العقاد في نقد شوقي صفحا ترضيه كل الرضى وتخالف كل المخالفة ماقرأه الاستاذ في كتاب صديقنا انطون الجميل .

لم يكن سانت بوف رجل صالونات وانما كان يغشى الصالونات فيرى مايحدث فيها ويتخذه وسيلة لتعرف مايقع من وراء الاستار . كان أقل الناس اعتدادا بما يتحدث به الادباء عن أنفسهم وهذه الصور الخلابة التي يعطونها لحياتهم فما يقولون من شعر أو نثر ، وكان يبلغ بذلك أقصى القسوة . فليقرأ الاستاذ ان اراد أحاديث الاثنين وليقرأ الصور وليقرأ كتابه عن شاتوبريان وأصحابه وليقرأ كتابه عن بورويال . وبعد ؟ ماذا يقول الاستاذ عنه ؟ أكان صاحب أناقة ولباقة واعتماد على الاوضاع الاجتماعية وهو الذي أنفق جهداً عنيفا ليقيم النقد الادبي على أساس من العلم ؟ وقد قرأ الاستاذ من غير شك لا أقول كتبه في نقد القرسيين بل أقول كتابه في تاريخ الأدب الانجليزي .

زعموا أن بشاراً سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ؟ ففضل جريرا وقال فيما قال ان الزوار امرأة الفرزدق ماتت فكانت المأتم تعدت برثاء جرير لا مرأته :

لولا الحياء لعادني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

فليسمح لي الاستاذ أن اذكره بأن الانجليز أنفسهم لا يزالون يعتمدون الى الآن على كتاب تين في تاريخ الآداب الانجليزية ومع ذلك فليس أدبهم في حاجة الى من يؤرخه من الاجانب .

وبروتيير ماذا يقول فيه الاستاذ ؟ أكان صاحب أناقة ولباقة وظرف وصالونات وهو أول النقاد الفرنسيين حظا من هذا كله ، وهو أول من حاول أن يقيم النقد الادبي على مذهب داروين في تطور الانواع وفي النشوء والارتقاء . وأميل فاجيه ولنسوت وبيديه وجول لمتر وانا تول فرانس وبول بورجيه وبول سودي والنقاد الذين لا يزالون يملؤون الصحف والمجلات الكبرى في فرنسا نقدا في الادب والفن ، ما بال الاستاذ لا يقرؤهم ليتبين أحق أن النقد اللاتيني يعتمد على الاناقة واللباقة والاوضاع الاجتماعية والتماس النكتة .

لقد فرغت الآن من قراءة فصل للكاتب الفرنسي مارسل دوشومان في مجلة العالمين التي صدرت في أول يناير لو قرأه الاستاذ لعرف أن النقد الفرنسي أبعد ما يكون النقد عن لمو الصالونات وظرفها . في هذا الفصل يحاول الكاتب أن يهدم اسطورة آمن بها الادباء جيلا عن حياة شاتوبريان كانت تصور دعابته ولهوه وكان هو قد اشتهى في آخر حياته الى تصديقها والتخييل الى الناس أنها قد وقعت بالفعل فاذا الكاتب يثبت بالادلة القاطعة ان هذه الاسطورة لا تستند على أساس ويعتذر الى القراء لأنه أضاع عليهم قصة غرامية كانوا يجدون فيها لذة وجمالا . كلا ليس النقد اللاتيني سطحيا ولا يستطيع من قرأ منه شيئا ذا بال أن يقول إنه سطحي بل هو مضطر الى أن يقول مع الكاتب الفرنسي بروتيير ان النقد الحديث انما نشأ وانما وآتى أطيب الثمر واصحه وأتمه في فرنسا وفي فرنسا وحدها .

وأنا أحب الا يظن الاستاذ العقاد اني أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حساب الثقافات الاخرى . فأنا من أشد الناس اكبارا لثقافة الكونية واعجابا بما عرفت منها . ولكني كنت وسأظل من أقل الناس حديثا عنها وحكما عليها لاني لا أحسنها وأحب أيضا الا يتقدم الاستاذ الي أكتب هذا الفصل متأثرا بالثقافة اللاتينية التي نشأت عليها كما نشأ الاستاذ انطون الجميل . فالناس جميعا يعلمون اني نشأت على الثقافة العربية الخالصة ولم أتصل بالثقافة الاوروبية الا بعد أن تقدم بي الشباب .

انما هو الحق الذي يجب أن يقال ، والعلم الذي يجب أن ينصف والقراء الذين يجب أن يجتهد في الا تقدم اليهم الا ما تثق بانه الحق الذي لا غبار عليه . والحق الذي لا غبار عليه في هذه المسألة هو أن الاستاذ العقاد تعجل وجامل فأخطأ الصواب ، وأقام أحسن الدليل على أن التحكم في الاحكام على الشعوب مزلة للاقدام وسبيل الى الظلم .

أما بعد فان لي في كتاب الاستاذ انطون الجميل رأيا ان لم يظهر في هذا العدد فسيظهر في العدد الذي يليه .

الشلوك

عمالقة السود وأكثر الهمج وحشية

للدكتور الكبير الاستاذ محمد ثابت

الشلوك طائفة من الزنج تحتل قسما من منطقة السدود في أعالي النيل ويحكمهم ملك يسمى (Ret) ولا يزالون متمسكون بتركهم الى الجد السادس والعشرين ودولة هذا الـ (Ret أو Mek) كما يلقبونه تمتد غرب النيل بين كاكا وتوجا وشرق النيل من جنوب كودوك الى التوفيقية وعلى ضفتي الـوابط الاول ويضم نحو ١٣٠٠ قرية من اكواخ مخروطية من القش والطين يسكنها نحو أربعين ألفاً . وهم خاضعون تماما للملكهم الذي يلقبه الجواسيس كل أمر جل أو صغر أولا بأول ، ومن أقصى حدود بلاده الى مركزه المختار في قاشودة على بعد ستة أميال من كودوك . وهم معروفون بالقوام الممهري وبطول السوق وبروز عضلاتهم ، جلدهم لامع براق والقبائل منهم لا يرى خارج كوخه بدون حربته الطويلة ذات السن العريض ، ومعها حربتان قصيرتان (ولا يحملون الاقواس والسهام) وسلاح من خشب كأنه الوتد مدبب الطرف ويستخدمون صحافا بعضها من خشب مستدير والبعض من جلد فرس الماء

(زينة الشعر عند رجال الشلوك)

وأخص ما يسترعي النظر شعور الرجال التي يرسلونها تنمو ثم يشكلونها أشكالا غريبة بعد أن تطن بروث البقر . أما النساء فيحلقن مقدم الجمجمة ويتركن شعراً قصيراً جداً في مؤخرها فتبدو المرأة كأنها صلعاء . ويتعهد شعر الرجال (حلاق) عمله محترم قديم يتوارثه عن أجداده وهو في شهرته ومقامه بلي الرماة والقبائل ، يأتي الرجل ويجلس أمام كوخ الحلاقة في الشمس المحرقة ويبدأ الرجل غسل الشعر وتغشه ببول البقر ثم يترك مدة في الشمس تناهز نصف ساعة وأنت ترى القمل والحشرات تجري على رقبة الرجل ، وأيدي الحلاق والرائحة الكريهة منبعثة منها تعبق في الجو . وخلال ذلك يعد الحلاق المادة التي سيشكل بها الشعر . فيأتي بإناء من فخار ويخلط به بعض الطين والروث والبول والصمغ ويمحنه ثم يبطن به الشعر في مهارة فائقة ثم يجفف في الشمس ويأخذ في قطع زوائد الشعر بعدة حادة ويدهن جسد الرجل ببول البقر الذي استخدموه جميعا رجالا ونساء . بعد ذلك يرش فوق الشعر مسحوقا من حرق روث البقر ممزوجا بالزرى ليأخذ الشعر لونه المطلوب . والعادة أن يتعهد الحلاق شعر رجلين معا لكي يعرف كل نظام شعره اذا ما رأى شعر أخيه ولا تستخدم المرآة عندهم . وأجر هذا العمل شاة أو معزى ، ويغلب أن يتعهد الشبان شعرهم هكذا قبل الزواج والحرب وقبل الرقصة الدينية . ولكيلا يفسد نظام الشعر اذا أحس ايلام الهوام التي تزايد في رأسه كل يوم يضع الحلاق أثناء العملية ابراً من الخشب فتخلف خروقا منها يمكن للرجل أن يحك رأسه بعصى مثلها . وأصعب ما يعانيه الشخص من شعره ليلا اذ ينام على قطعة من خشب يرفعها حاملان وهو لا ينجو من هذا العذاب ولا من عذاب الغسل الا اذا مات أحد أفراد العائلة ، فعندئذ يجب حلق الرأس وتركها حتى ينمو الشعر ويستأنف تعهده من جديد .

ومما يعانيه شبانهم الاختبار الذي يجوزونه كي يحوزوا لقب المقاتلة في سن الخامسة عشرة فتصحب كل واحد منهم خليلته ويذهب الجميع الى ضفة النهر ، وتمسك كل خليلة برأس صاحبها وتميلها نحو النهر وتأخذ في تشجيعه على أن يحتمل ما سيحل به من ألم . وسرعان ما يجيء طبيب ويشق جبهة الغلام بعدة حادة فلا يجزع واحد أن يتأوه والا كان خزيا كبيرا وبعد ذلك تغسل الفتاة الدم في النهر وتنتهي الحفلة . وكل صبية

هذا الجيل يلقبون باسم حيوان معين يتخذ شعارهم كالاسد أو الافعى وما اليها وكثيرا ماتقطع المدية شريانا فيموت الصبى من كثرة ما يفقده من الدم ، والذى يعيش منهم يصبح مساهما فى بقر القبيلة ويخول له الحق فى الاشتراك فى الرقص العام ويعتبر اليه الجميع نظرهم الى الرجال وقبل اجتياز هذا الاختبار يعتبرون اطفالا مفتقرين الى حماية الرجال ويناموون فى أكواخ الخدم

(رقصة فتيات الشلوك)

والشلوك أهل مياه وأنهار لا عمل لهم سوى الرعى وصيد حيوان النمك فهم يسيرون فى المياه بسرعة مدهشة حتى ولو

عاشوا فيها الى أكتافهم . ولايذبحون ماشيتهم قط بل يستمدون منها اللبن . وبهذلك تستخدم بدل النقود فى المبادلة وهى لديهم مقدسة ويتشاءمون من التوبيين شعارهم الفول السودانى وهو غذاء رئيسى عندهم وقلما يزرعون شيئا ، اللهم الا بعض الذرة والطباق فهم كسالى . وكل

(منازل الشلوك)

عائلة تحل كوخين أو ثلاثة يحوطها سور فى جانبيه داخلى أصطبل . البيوت نظيفة تحوى ثلاثة أكواخ واحد للزوج وزوجه والثانى للطبخ والثالث للخدم والاولاد . وأحب مشروباتهم المريسة وزوارقهم جذور منقورة من نخيل ، أو أعواد توثق فى شكل مجوف يحمله الرجل اذا شاء والشلوك اذا صادوا فرس الماء حفظوا لحمه لوقت الحفلات ، واذا صاد أحدهم فرسا بدون مساعدة غيره ليس سوارا من عاج

حول ذراعه وكثيرا ما يهاجمهم وحش كالاسد والفهد فيرديه الواحد منهم بحربته وعندئذ يأخذ جلده ليحفظه ويلبسه فى الحفلات ليدل على بسالته

(صيد الفهود)

والشلوك يعيشون فى قرى مكتظة عكس أمم البارى والنوير الذين لاتزيد مجموعهم على عائلة واحدة فالشلوك لهم نظام عائلى وثيق وقانون موحد لذلك قلما تقتتل شيعهم وكثيرا مايستعملون السم الذين يلطخون به سهامهم فى قتل الغير وملكهم لا يذوق طعاما ولا شرابا الا بعد أن يتناول من أحد تابعيه قبلة . أما زينتهم فعقود من خرز ملون تلبس صفوفا بعضها فوق بعض وقد تغطى الرقبة كلها وقسما من الصدر وهى دليل الغنى والجاه ويلبسها الرجال أيضا . واللون الازرق عندهم يشير الحظ السعيد لذلك يلبسه الاطفال فكلما كثر الخرز دل على جاه أبويه وبعض الشبان يلبسون سوارا فى الساعد والعقب ، وهذا يدل على أنهم قتلوا من الحيوان أسداً أو فيلا أو فيلا . والطبخ والزراعة والخزف والمريسة وحمل المياه من عمل النساء . أما الرجال فلا يصح لهم أن يقوموا بهذه الاعمال المهينة الا

اذ طحنوا فى السن ولعمل المريسة يوضع بعض الذرة فى سلة مع مزيج من مسحوق روث البقر والثرى وكلهما توضع فى ماء راكد لمدة أسبوع حتى تتخمر ، ثم تنقل الى جرة من فخار وتملى فى الماء ويؤخذ السائل العلوى ويرد ثم يشرب ، وكلما نضبت أضيف الماء اليها وأعيد غليها وهكذا وهذا الخمر قوى مسكر

ويخال بعض الناس خطأ أن اللحم أهم غذاء لديهم على أنهم لا يأكلون الا لحوم السمك وأفراس الماء ، أما لحوم البقر فلا تؤكل الا فى الحفلات . ومن أطعمتهم المحبوبة خليط من مسحوق الفول السودانى والذرة والسمك النيء تطهى فى جرة من فخار ، وكذلك لحم فرس الماء يمزج بالفول السودانى وعشب اسمه

صفصاف . وتكثر حفلات الرقص عند شرب الريسة في الليالي القمرية خصوصا ليلة البدر وكلهم يرقصون والحراب في أيديهم ، وقد لعب الخمر بلبهم ويفرغ القوم طبولهم الزنجة وسط القرية التي تتجمع بيوتها في شكل دائرة تتوسطها ردهة فسيحة والطبول تقرع من وسطها ذبا كورة الصباح اعلانا للناس بأن حفلة الرقص ستقام الليلة وكلما اختلفت قرعات الطبول اختلفت حركات الرقص ودلت على الغرض منه اهو للمطر أم الحرب أم الدين أم الغنيات أم الموت ورقصة الفتيات تبدأ بعد زوغ القمر مباشرة والغرض منها تعارف الفتيان بالفتيات اذ ترى الفتيان قبيل الغروب مرحين انتظارا للافة فتياتهم ويصرفون زهاء الساعة في تمهيد شعورهم ولبس جلود القطط والثعالب والتحلي بصنوف لا تحصى من الخرز والودع وما اليها وقبيل الغروب تقد الجماهير شبابا وشيبا وتصف جرار الريسة بحجومها الكبيرة وسط الدائرة والى جانبها أطباق من الذرة واللحم نصف المطبوخ ، فاذا ظهر النور بدا المسنون من النساء والرجال في دائرة ومن داخلها جماهير الشباب من الجنسين ويظلون مرحين يتحادثون حتى يقبل الزعيم ومن خلفه أتباعه يحملون الطبول وأدوات الموسيقى فينصت الجمع ويتداخل الفتيان والفتيات في صفين ثم تعزف الموسيقى والطبول وبين آن وآخر يرتل الكل أغنية . وما تكاد تنتهي حتى يعلو قرع الطبل وعوج صفوفهم ويبدهم الحراب التي تتلألأ في ضوء القمر . ثم يسرع أحدهم الى الوسط مخترقا صفوف الشابات والشباب وهناك يتأبل ويهاجم كأنه يصارع وحشا ثم يعاد الغناء ثانية ، وبعد ساعة على تلك الحال يشرب الكل الريسة ، ويبدو صف آخر من الراقصين

(زينة الشعر عند نساء الدلوك)

(الملاق عند الدلوك)

بعد انسحاب الاول الذي يظل عاكفا على جرار الريسة يرتشف منها ما يشاء ، واخيرا يختفي الكل في الرقص تاركين الحراب ويتقدم كل شاب في صف الشبان الى فتاة في صف الفتيات وترفع السواعد بمحاذاة الاكتاف ويقفز كل زوج قفزات منتظمة لكن دون أن يلمس الفتى خليله والفتيات يظهرن دلالهن ويحاولن اسر الرجال واستمالتهم بما يفوق ما تأتيه المرأة الغربية ، فهي مثلا تزيح ثديها بين آن وآخر ثم ترفع عنهما قطعة القماش المتهتهة ثم تعيدها وكثيرا ما يفعل ذلك أمام القاضي في المحاكم فتؤثر فيه وما يكاد الليل ينتصف حتى تكون الريسة قد أخذت بلبهم فيختفي الحابل بالنابل وبمجرد انسحاب الزعماء والمتقدمين في السن تأتي الشبان والشابات بما لا يتصوره العقل بل وبما يستنكره الخلق الفاضل القويم

الزواج : ولا تتزوج الفتاة قبل الخامسة عشرة وبفضل رقصة الفتيات يمكنها أن تتعرف بالكثير من الفتيان ، والزوجة يمكن شراؤها بالقطعان . وللرجل شراء ما استطاع من الزوجات ، لأن ذلك دليل الجاه والغنى ، وقبل أن تتم صفقة الشراء هذه يجب أن توافق هي على هذا الزوج وفي العادة تكون قد رغبت فيه ابان حفلات الرقص ، وهي تحب أن يكون غنيا بقطعانه ومزارعه ، والعجيب أن الفتاة تؤثر الزوج الذي يستطيع عادة أن يشتري زوجات كثيرات غيرها . وقبل اتمام الزواج تقدم الهدايا (السيكة) كثير من المعزى وثلاث من الحراب وعشرين خطافا للصيد (سنارة) وما اليها وخلال تلك الفترة يبدأ التعارف بينهما — نظام شبيه بنظام الغرب — في حفلة الرقص يقود الأخ

أخته الى حلقة الرقص والحجل يبدو على وجهها وهناك يسألها زعيم القبيلة أن تعترف بجميع علاقات الحب التي حصلت مع فتيان آخرين من قبل وهي تخشى الا تقول الصدق لأن الاخبار كلها تصل الزعيم أولا بأول . وبعد تلك المداولات بين الزعماء والعروس تقرع الطبول فينصت الجميع وهنا تكرر الفتاة ذكر أسماء الفتيان الذين أحبوها من قبل فيحضر كل منهم الى وسط الدائرة ويحكم عليه بغرامة من الماشية والاغنام ومتى جمعت تلك القطعان قدمت كلها مهراً للزوج أما الفتاة فلا عقاب عليها متى صدقت في الاعتراف ومتى أقر الزعماء ذلك ولا عار على الفريقين من ذلك فالاعتراف من جانب الفتاة والغرامة من جانب الفتى عقاب كاف ورضية حسنة . والظاهر أن هذا التصرف لا يرمي الى منع الفساد الخلقي بقدر ما يرمي الى تزويد الزوجية بالمال والمتفرجين بالطعام والشراب والرقص

وعند ميلاد غلام تقدم الهدايا للأب من قطعان ربو عددها بالتوالد حتى اذا ما أضحى الطفل رجلا قدمت له بعد أن يجوز (حفلة الرجال) ، واذا مات أحدهم دقت الجلة أمام الكوخ الذي كان يقطنه ويلف الجسم في أنفر ما كان لديه من ثياب ان وجدت والى جانبها الاسلحة وأدوات الطبخ وكل ما يلزم للحياة الاخرى ما عدا أدوات الزينة . والجسم يمد في القبر على ظهره وتوضع تحت الرأس وسادة من خشب للرجال ومن قش للنساء والاطفال واذا مات الزعيم دفن داخل باب كوخه وأغلق سنة كاملة بعدها يهدم وعند دفن الميت تقام حفلة (رقص الموتى) فيجتمع الأهل وقد لطخوا جسومهم برماد من حرق روث البقر ويرتل الجميع وفق قرعات الطبول البطيئة ويمثل الراقصون ما يدل على شجاعة المتوفى وفضله ويقدم الناس لأهله الطعام والشراب وتستهلك مقادير عظيمة من الريسة وقبل شروق شمس اليوم التالي ينهي الحزن بتاتا

وفي رقصة الموت يتلون مرتلة يؤخذ فيها النساء والاطفال والماشية أسرى وهذه الرقصة تقدم في أي وقت من النهار بمجرد سماع القوم لقرع الطبول نداء لما فيتزين كل بما لديه من أدوات البسالة من ريش وجلود وحراب وما اليها ويتقدم القاتلون ذهابا وجيئة ويضربون الارض وحولهم وحراسهم التي كثيرا ما تنثني أو تتكسر ثم يهاجمون الاكواخ التي فيها أسراهم ويسوقونهم فيها بشراسة زائدة وسط تهليل يصم الآذان مسرعين نحو الزعيم والنساء تسيل من الجروح التي خدش بها وجوههم وجسومهم ثم يتقدم الطبيب بعد فيغمسها بعصير بعض الاعشاب

واذا قام نزاع بين قبيلتين أدى الى قتال عنيف ولا تتنازل احداها عن الاخذ بالثأر الا اذا تساوى عدد الضحايا من الفريقين ولا يمكن لأية قوة منعهم لأنهم يلجأون الى صيد الناس بسهامهم المسمومة تاركينهم : ويرجح بعض الكاتبين انهم وفدوا من منطقة البحيرات ولم يعلموا بوجودهم هذا الا منذ أربعة قرون وفي سنة ١٥٠٤ غزوا سنار لكن غزاتهم البقارة سنة ١٨٦١ وفي ١٨٧٤ ثاروا على الحكومة المصرية في السودان وفي ١٨٩٠ خلال ثورة المهدي ثاروا ضد تجار الرقيق من العرب والدراويش لكنهم هزموا وسيق عدد كبير منهم الى أم درمان ولهذا السبب تجدهم يبغضون العرب ويظهر انهم يمتون بصلة الى الدنكا وبعض قبائل البحيرات مثل (كافرونجو) لتقارب لغاتهم وبعض عاداتهم

الدين : ولهم آله اسمه (فوك Fok) قادر ومسيطر خلق كل شيء الا انهم خاضعون لما يسمونه نيكوانج (Mek) وهو خليط من الوثنية وعادة الاجداد والارواح ، فهم يرون أن أول جد لهم هو نيكوانج الذي يعمل وسيطا بينهم وبين الاله الاعظم الذي لا يدركه أحد وهو (فوك) فهم يقولون في وقت الضيق (أن فوك قد غضب علينا) ويصلون لنيكوانج للشفاعة وروح هذا عمل كل ملوكهم Mek ويرون أن روح الموتى تزورهم في المنام وتؤثر على حياة الاطفال ، وهم يتخيلون الله دوامة هوائية تتناهم كثيرا وتعمل الرماد عقب احراق العشب في عمد سوداء عالية ، ويقولون بأن الله أسود اللون لأنه لا يرى ويسكن الظلام ، واذا مات الانسان عاد الى ربه وعند الصلاة يقول الشلوك : يا آلهي أتركنا وحدنا نتجو فأنت عظيم ، لا يمكن لاحد أن يتكلم معك انت الله ومن تقتل منا يموت . أنت مقر روحنا فاتركنا نتجو والباقون يستسمون وهم منصتون وحرابهم في أيديهم بعضهم واقف والبعض راكع . ولتقريب فكرة الآلهة من الناس يفترضون له وكيلا شبيها بالانسان هو نيكوانج . يتوسلون اليه قائلين : نيكوانج قد أعطاك الله الارض فاحكم الشلوك وارج لنا ربك يجعل البقرة التي سنذبحها قربانا مقبولا لديه ، ثم يقتلون البقرة ويغسلون دم الحربة بالماء ويخلطون هذا الماء بالروث الذي يخرجونه من أحشائها ويرشونه على الناس جميعا . ورأيهم في الخلق يتلخص في ان الله هو الخالق خلق طبقتين مسطحتين : العليا وهي السماء والسفلى هي الارض ثم خلق النبات والشجر . وأول حيوان ظهر الجاموس ثم الانسان وكلم الله الجاموسة قائلا . تعالي غدا أعطاك حربة فسمع الانسان ذلك وذهب خلسة لما خيم الظلام فلم يره الله فتقدم وهو يمشي على أربع وينفر كأنه الجاموس فقال الله من هذا؟ فأجاب أنا من له قرون متجهة الى الوراء فجزع الله وأعطاه الحربة ولما جاءت الجاموسة تخور قال الله ألست أنت التي أخذت السلاح مني؟ قالت لا بل الانسان فأعطاها قرونه وأهاجها على الانسان أي لاقته .

ولما خلق الانسان كان أحمر اللون لأنه شكل من طين النهر ثم ذهب الى التربة السوداء وخلق الجنس الاسود ولما انتهى من خلقه فرك يديه فسقط الطين منها فتانا هو الفمل الذي التصق بشعر الانسان ومنابته ولذلك اخترع له الله الموسى للتخلص منه . وفريق منهم يرى ان الله أمر زوجته فولدت توأمين أسود وأبيض وكانت تحب الاسود وتبغض الابيض وأمر الله بتربيتهما . وحدث مرة أن مد الاب رجله وأمر أن يلعقها توأما الدم فلعق الابيض لانه عبد وأبى الاسود فأحب الله ذلك الابيض وحباه وقال لزوجه ان ابنى هو هذا

وسأملكه على الاسود يبيع فيه ويشترى وسأمده بالاسلحة التى تسوده على كل شىء

والطبقة الاستقراطية تشمل (Rel أو Mek) وأولاد نيارت (Nia ret) وأحفاده فى آريت (Nia-ret) وأحفاد أحفاده كوانى آريت (Kwaniaret) وهؤلاء فقط هم وارثو الملك أما العائلات المتفرعة عن الملوك الاقدمين فتسمى أورورو (Ororo) ولهم نفوذ عظيم الى هؤلاء طبقة قوية Kujurs وهم أطباء السحر تتمثل فيهم قوة القس والاطباء وام نيكواج يسمى كيى يا (Kieya) تتمثل فى التمساح ولذلك تقدسه وفى كل قرية هيكل لنيكواج وهو كوخ باسق حوله كوخان عاليان يزين أعلاها حراب بيض السلم وذلك لان نيكواج وفد من الصحراء يمتطى نعامة . واذا مات الملك تزوج صغار زوجاته من بعض أقربائه أما الطاعنات فى السن فيصبحن خفر المعابد وبنات الزعماء هن بنات نيكواج وعند زواجهن تقدم الضحايا زوجة نيكواج الكامنة فى بطن التمساح فيؤخذ عنز ويذبح على حافة نهر . وعجيب أن تفد التماسيح لاكل الدم أما اللحم فيرسل لحارسات المعابد وهم اذار أوادوامة ترابية تسجد والعالظنهم أن الله (نوك) يمر مختبئا فيها وهذه العواصف تكثر فى شهور الجفاف خصوصا بعد اشتعال النار التى يكثر عندئذ فى العشب والغابات

واذا تخلف المطر اقاموا رقصته لمدة ثلاث ليال أو أربع حول معبد نيكواج عند الغروب وهذه هى الرقصة الوحيدة التى يلبسون لها الاردية والعادة أن ينتظر الزعيم (كوجور) بعد الجفاف متحينا فرصة يرجح نزول المطر فيها ثم يقرع الطبول للرقص ويصلون وهم وقوف ووجوههم الى السماء فى غير حراك ساعات طويلة وكلهم ايمان بأن المطر سينزل سراعا وفى داخل المعابد تري مذبحا للضحايا من الغنم يقام من الخشب وترى فوقه بعض الطعام والمريسة يقدمها كل من أراد التقرب من الوسيط نيكواج

حفلة تتويج الملك : والملك (Mek) ينتخبه زعماء القبيلة من افراد العائلة المالكة وفى يوم التتويج يفد من فاشوده الى الضفة الجنوبية لنهرهم المقدس تحوطه جميع الحرس بحرابهم ويجتمع أهل القبائل بجيوشهم سائرين من القرى تحواسبوعين على الاقدام ويجب الا يتخلف احد الزعماء ويلبس الملك جلبابا مخططا وحزاما مزدوج اللون الازرق والاحمر وطربوشا أحمر قانيا وهو شعار الملكية ثم يركب حمارا ويظهر على ضفة النهر يحوطه الجند من العمالقة وعليهم الجلباب الاحمر فيحيي الجماهير للملك بحرابهم المرفوعة حتي يجلس على جلد نمر ويقدم أهل كاكا اقصى بلاد الشلوك شمالا مجلا أبيض ويقدم أهل توجا اقصى بلادهم جنوبا فتاة صغيرة . والبلاد يقسمها النهر المقدس قسمين حار Garr، ولواك Luak ولكل منهما زعيم وتحت هذين زعماء القرى فيتقدم أهل الشمال بالثور الى النهر فى مواجهة الملك ويهجم زعيمهم فيخترق جسم الثور بحربته ثم تتبعه سهام الناس من كل جانب فيسقط الثور ويسيل الدم الى النهر ثم يتقدم زعيم الجنوب الى الملك ويهدده الفتاة عارية فيقتلها الملك ويصيح الكل قائلين (أيوه ! أيوه !) وعندئذ يمكن لاهل الشمال ان يتخطوا النهر الى الضفة الجنوبية ويبدأ التتويج بأن يغسل الملك بالماء الساخن ثم بالماء البارد لكيلا تؤذيه تقلبات الحر حرا وبردا ثم يعامل بخشونة وقسوة من الجميع وعليه ان يطيع ويخضع لكي يتم التواضع ثم يركع له الجميع اجلالا لانه ابن نيكواج ثم يلبسونه خفا فى قدميه من جلد فرس الماء الفحل الخشن ليمشى به على مضض فيفهم معنى الفقر والتقشف ثم يقدم له الخدم بعض لحم الغزال وفرس الماء اشارة الى توافر اللحم والقناعة فى أكله ثم تقدم المريسة بمقادير كبيرة لكن عليه الا يسرف فى شربها ليدلهم على انه قنوع ثم يجرى اليه ثلاثة شبان بحرابهم تصوب الى صدورهم فيدفعها الملك بيده الى تلك الصدور حتى تدمى دلالة على انه سيحكم حكما صارما لكنه فى عدل . ورحمة وأخيرا يقف الملك ويخاطب الزعماء ثم يتقدم منثيا فيركع الجميع اجلالا — وهذا ما يفعله القوم دائما كلما رأوا الملك — وهو يتكلم فى تؤدة ووقار فيجيب القوم بصيحاتهم (أيوه! أيوه!) كلما قال بعبارة واحدة

فى التليفون

بقلم بتاح فى عهد احمس بطل استقلال مصر

وعبد الجليل أحد مخترعى الفرش

— ألو ! ألو ! من أنت ؟ — أنا بتاح ومن أنت ؟

— أنا عبد الجليل

— فى أى مدينة تكون وما جنسيتك .

— أنا فى البدرشين ، أنا حيث تمثال رمسيس العظيم ملك مصر العاتى ، أنا فى منف . . . العاصمة العظيمة التى امتلأت فى عهدكم بالحكماء والقضاة ورجال العلم والفن فأين أنت ؟

— أنا فى نفس المدينة لكن يخيل الى أن زمنا ما يفصلنا . انه يشبه الجبال العالية والصحارى المديدة الفسيحة . فأية أعجوبة هذه التى جعلت الارواح تعبر الازمان . لقد أثار اعجابنا عجلاتنا التى تطوى الارض طياً ولكن هاهو ذا شىء عجيب آخر يطوى الزمن لكن ماذا تفعل فى منف .

— أنا أعمل عملا جليلا . لو استطعت أن تمد يدك وراء الأجيال الى يدى لشعرت بالدم يجري فيها حاراً ملتهباً ان الفرح الذى يملأ نفسى لتضاءل أمامه كنوز العالم ومفاخره

— ان الذى تقوله عجيب . . . فأنت تصف ما أحس به تماما . فانى انتفض سعادة وانى لاشعر أن الدنيا تصغر فى عينى أمام هذا المبدأ العظيم الذى تخرج مصر لتحققه . فهل أنتم تفعلون ما فعلناه نحن منذ قرون . ماذا تفعل فى منف ؟

— انى هنا اجمع القرش — تجمعون القرش ؟ ماذا تعنى

— أعنى أننا نجمع من كل مصرى شيئا يتبرع به . شيئا نافها من ثروته . فاذا جمعنا هذه الثروات الضئيلة جمعنا ثروة ضخمة — وماذا تفعلون بهذه الثروة الضخمة ؟ لست أفهمك فلعل الاتصال الذي بنى وبينك قد اضطرب ، فان عقلى لا يستطيع أن يدرك من الذى يجمع هذه الثروات الصغيرة ولمن يجمعها — ثم لماذا . آه ، لعلكم تخشون المجاعة فتجمعون اليوم ما يقيكم شرها غداً وليس هذا شيئا عجيبا . لا ياصديقي لسنا نجمع هذه الثروات الصغيرة لشيء مما يجرى فى بالك . بل نجمعها لنشيد بها مصانع تخرج لنا ملابس نلبسها وما كل نأكلها ، وأثاثاً نؤثث به بيوتنا .

ولكن من الذى يقوم بهذا الجمع ؟ — الشعب ، الشبان الذين أنا احدهم . فأنا أترك العاصمة حيث الراحة والترف والهدوء . لأجوس خلال منف التى أصبحت قرية صغيرة فيصيبنى التعب ، والقى احيانا الاعراض ، وأرى غالبا الفقر ، فتذهب نفسي حسرات فى الحالين ومع ذلك لست أيأس ولا انقهقر

— انه احساس الامة ، بدأ غامضاً ، ثم اتضح شعورائم استحال فكرة ثم تجسد عملا .

— لابدأن تكونوا شعبا ناضجاً جدا . ان القوة التى فيكم هى القوة التى خلقنا بها الفنون وأوجدنا العلم ولكن فى نفسى سؤالا يضايقنى فدعني أسألك اياه : ماذا كنتم تلبسون قبل هذه المصانع التى تريدون تشييدها . هل كنتم عراة . ثم ماذا كنتم تأكلون . هل كنتم فى صوم ؟ — لا ، لقد كنا نشترى ثيابنا من غيرنا من الدول كذلك كنا نبتاع طعامنا . هل سمعت صرختى التى دوت . لقد أحسست بمثل مروق السهم فى جسمى حين سمعتك تفوه بهذه الحقيقة المريرة . لقد شعرت بالألم ، حين عرفت أن احفادنا يعيشون متسولين لايعرفون كيف يحيكون ثوبهم أو يصنعون طعامهم . . أنتم أهون من العبيد ماذا كنتم تفعلون لو منعوا عنكم الطعام ، وحجزوا عنكم الثياب . — اطمئن ، اطمئن يا أخي . فمصر اليوم من أولها الى آخرها فى ثورة على هذا الحال الاسود . وهو ينقشع وتبدو من بعد اضواء فجر جميل . فها أنا ذا قلت لك اننا نخرج فنؤسس مصانع تغسل عن كرامتنا هذه الاهانة التى جعلتك تصرخ . ومصر أنت تعرفها تستطيع ان تنتج لابنائها كل شيء الثياب التى يلبسون ، والطعام الذي يأكلون . ولكن ابناء أوروبا الفارة الناجرة التى لم تعرفوها ، عودونا أطعمة خاصة ، والوانا من الثياب بعينها ، فأصبحنا لا نستطيع ان نعيش بدونها فاستوردناها منهم . ثم خلقوا لنا صنوفا من الزينة فاشتريناها منهم ودفعنا ثمنها غاليا . وبذلك تسربت أموالنا الى جيوبهم .

***

ان أشد أنواع الاستعباد استعباد الروح والفكرة . ففى بلادنا اليوم أعداء ولكنا لانحسهم لان معتقداتنا ونظام حياتنا وأسلوب تفكيرنا ، لم يصلوا اليها ولم يؤثروا عليها . فنحن أحرار ولكنهم هم أنفسهم المستبدون فقد جاءوا الى مصر فغيرت عاداتهم وأخلاقهم وجعلتهم أمة جديدة — لعلك انت فى منف لتحارب هؤلاء الاعداء — نعم ، أنا مع مئات الالوف من أبناء مصر كل منا فى صدره قلب لو وضعت يدك عليه لاحسست بدم يهتز ويموج ، فى أيدينا سهاما وأقواسنا وهى تشتعل حرارة هى حرارة هذه القلوب . ثم ترتفع من حناجرنا أهازيج هى أهازيج الفوز والانتصار . وأمامنا قائدهو أحس محيطه الافئدة وتجرى وراءه الارواح ، وتتابعه العيون . لايقول شيئا الا فعلناه ولا يشير بيده الا أسرع اليه الشباب كله فى جسمه جروح لا تعد وفى جبينه شج هو خير من تاج . سنسير اليوم صفوفا صفوفا تعجب كثرتها قرص الشمس ، وتسير أقدامنا تطرق الارض طرقة متسقة موسيقية تطمئن لها الروح فتنشط لها النفس . ثم تتقدمنا العجلات الحربية فيها الشبان الذين كشفت ثيابهم عن أذرعهم القوية الجبارة ، وصدورهم التى ترتفع وتنخفض انتظارا للمعركة التى يرتفع فيها اسم مصر ، انى سعيد ياأختى ، انى سعيد ، فدعنى أغنى وأرقص . فان ساعة الفوز قادمة — ولكن ألا تفكر فى انك قد تموت !

— أموت ! ما أبدع وما أروع ! وهل ثمة ميتة أعز من هذه الميتة ؟ لقد مات فى معركة أمس صديق لى فلما اقتربت منه أساعده وجدت شفتيه تضطربان وعليهما بسمة . ثم همس فى أذنى .. ما أسعدك ليهبك الله شرف هذا الموت ! »

ولقد أصاب سهم جنب ابن عمى ، فذاق عذابا لو نال الاهرام لذابت ، ولكنه كان يغمض عينه ويضغط على شفتيه ، وتملأ الصفرة صفحة وجهه وهو لا يكاد يئن . انه يستعذب الألم ، انه يستطيب العذاب ، ما دام ذلك من أجل هذا الوطن الذي نعيش فيه . انمصر تهب القوة والجلد والصبر . انها لتخلق من الجبناء الضعفاء مقاتلين اقوياء . دعنى ياصديقى أغنى فان ساعة المعركة قادمة ، سنمضى مثلكم فى جيوشنا السلمية : صفوف منظمة ، أساليب محكمة وايمان يملأ القلب . كل سنة نشيد مصنعا تصنع فيه الكرامة المصرية التى تستسلمة من جديد . وفى كل لحظة تبشر بمصر التى وهبت للدنيا الفن والحكمة ، وعلمتها الزراعة والصناعة ورفعت للعالم مشعلا لم ترتفع له منذ آلاف السنين

سيد قطبى رضوان

سرير رقم ٣٣ السادس الاسرائيلى ١٥ يناير سنة ٩٣٢

العالم المسرحي والسينمائي

للاستاذ محمد توفيق يونس

مأساة الرواية الحديثة

أصاب نقدي على رواية (بنات اليوم) شيء من البتر أثناء الطبع حمل قولي في خاتمة الرواية وجعلها غير مفهوم فأحببت أن أوضح هذه الفكرة فأقول :

قام على هذا الموضوع خلاف شديد بين أنصار المذهبين الرومانتيكي والواقعي . فهؤلاء يأخذون على أولئك ختامهم الروائي الذي ينتهي في المآسي بالذبح العام والقتل الشامل . وربما ادخلوا بعض أشخاص الرواية في هذه الخاتمة لأنها أسهل طريق للتخلص منهم . أما في الكوميديات فغالباً ما يسدل الستار على مكافآت عظيمة ، وجوائز سنية ، وعيش رغيد يبعد عن الحقيقة كل البعد .

رأى الواقعيون أن المسرح وهو قطعة من الحياة يجب ألا يفصل عنها . فليس من الفن والواقع في شيء أن يعامل المؤلف القطعة التي اختارها من الحياة كأنها كائن قائم بنفسه . لذلك كان من الواجب عليه ، وهو يسير روايته الى الغاية ، أن يترك في نفوس جمهوره أثراً بأن الدنيا لا تزال مستمرة الحركة فيخرجون وهم يشعرون — بعد أن كوفئت الفضائل ، وعوقبت الرذائل ، وحققت الرغائب — أن أشخاص الرواية لم يزيدوا ولم ينقلوا عن كونهم آدميين سيجدون ولا شك أفراحا جديدة وأحزانا أخرى مكتوبة لهم في سجل القدر . أما في الروايات القديمة فقد كان المؤلف يجعل النهايات حاجزا بين الحاضر والمستقبل كأنما العالم بعد ختام روايته قد وصل الى نهايته .

الفاجعة على مسرح سينما يا

رفع الستار وبدأت الرواية . الحوار شائق لذيذ ، والعمل محكم جميل ، والتحليل قوي دقيق ، ولكننا كنا نشعر كلما تقدمت الرواية وتم العمل بجو أجنبي ، فالحادث غريب ، والبيئة غريبة ، والأشخاص غير مصريين وان كان الكاتب (الاستاذ طاهر حق) قد أعارهم اسماءنا والبسهم ثيابنا . فليست الرواية مصرية في الواقع ؛ واذا كان الكاتب قد اقتبسها فكان ينبغي أن يعرضها في صيغة تلائم الذوق المصري ، ويعنى فيها باللون المحلي حتى لا يجد المشاهد نفسه في جو لا يحسه ولا يألفه ولا يثيره ، وأمام أشخاص لا تدنيه بهم معرفة ولا ترتبط باحدهم صلة . وربما كان التوفيق بين فكرة الرواية الأصلية والصبغة المحلية معذرا فكان أجدر به ترجمة الرواية كما هي حتى لا يسيء الاقتباس ، ويخطئ المرمى ، ويخدع الجمهور

أما التمثيل فلم يكن في مجموعه صحيحا متسقا . ونجاح الرواية في الواقع يرجع الى بطلتها السيدة فاطمة رشدي ، فقد لبست دورها ببراعة وحذق وكانت في موقفها في ختام الفصل الثاني جديرة بالاعجاب حقا .

الرواية السينمائية المصرية

شهدت القاهرة هذا الأسبوع محاولتين جديدتين في سبيل ايجاد الرواية السينمائية المصرية الصحيحة ، (الزواج) للسيدة فاطمة رشدي ، ثم « كفرى عن خطيئتك » للسيدة عزيزة أمير وهي أول من وضع الحجر الذاريخي للسينما المصرية . وهذه حركة نقابلها بالغبطة ، وان كنا نلاحظ على رواياتنا السينمائية بوجه عام عدم توفر الأصول الفنية فيها ، وكثرة ما بها من نقائص وعيوب . وان تقوم الرواية السينمائية المصرية وتنهض الا على أساس من المعرفة الصحيحة والدرس الطويل . ومن الضروري أن يعهد بها الى فنيين زاولوا السينما وأدركوا دقائقها ، وفهموا حقائقها ، وعرفوا أسرارها . واذا كانت جهود الافراد تعجز عن القيام بما يتطلبه هذا الاستعداد من نفقات ، فلدينا شركة قائمة هي شركة مصر للتمثيل والسينما تستطيع أن تسد هذا الخلل وتقضي هذه الحاجة . ولنا وطيد الأمل أن تدخل الميدان وتسهم في وضع أساس الرواية السينمائية المصرية فستقدم الخبيرين فترشد بفنهم وتهتدي بتجاربهم حتى ينتظم العمل من وجوهه الفنية جميعا .

ولقد رأينا ما كان لاشتراك السيورو بير بدرو زالمخرج بشركة جومون في رواية « كفرى عن خطيئتك » من أثر جميل وتقدم محسوس فخرجت الرواية واضحة متسقة منتظمة . ولا يسعنا نحن الا أن نرحب بهذه الخطوة الحميدة وأن نقابل بالتشجيع وذكر بالخير مجهود عزيزة أمير والسادة احمد الشريعي وتوفيق الردلي ومحمد صلاح الدين وزكي رستم